(٨) اليوم العالمى لمكافحة المخدّرات[١]

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

حديثنا اليوم عن المخدرات، بمناسبة اليوم العالمى لمكافحة المخدرات، وقد أصبح العالم كلّه يكافح هذه الآفة القاتلة المدمّرة، التى تقوم عليها عصابات وشبكات خطرة، لأناس يملكون المال، و يملكون السلاح، وهم فى بعض البلاد: دولة داخل الدولة، يسقطون الحكام ويقيمونهم، بما لهم من نفوذ، وما يملكون من ثروات، وما يشترون من ذمم، وما يستخدمون من وسائل لا تتقيد بأى قيم أو أخلاق. فغايتهم خبيثة، ووسائلهم أشد خبثا.

هؤلاء الناس يقومون على تدمير البشر، وتخريب حياة البشر، ليملكوا هم الملايين والبلايين بعد ذلك.

هذه الآفة يشكو العالم منها، كل العالم. ونشكو منها نحن العرب والمسلمين، فقد دخلت إلى بلادنا من قديم تحت اسم (الحشيشة) أو (الحشيش)، وقاومها علماء المسلمين، وقد دخلت مع التتار.. مع سيف التتار إلى بلاد المسلمين، وكان المسلمون يعتقدون أنّ تسليط التتار عليهم بسبب انتشار هذه الآفة القبيحة.

أجمع علماء المسلمين – يوم ظهرت هذه الآفة وهذه الحشيشة – على تحريمها. لم يشذ عن ذلك فقيه من الفقهاء، ولا مذهب من المذاهب، كلّهم قالوا بتحريمها، فهى حرام، بل هى كبيرة، وقالوا: إنّ من استحلّ أكلها أو شربها أو تناولها، فلابدّ أن يُستتاب (تُطلب منه التوبة)، فإن تاب ورجع فبها، وإلاّ عوقب كما يُعاقب المرتدون، لأنّه أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة.

وللأسف نجد فى عصرنا أناساً يماحكون بالباطل، ويجادلون فى غير موضع

---

(١) هو السادس والعشرون من شهر يوليو.

OBEIKAN.COM

للجدل، يقولون: لانجد دليلاً فى القرآن ولا فى السنة على حرة هذه المخدرات! وكذبوا، فنصوص القرآن والسنة تحرّم هذه المخدرات. بلا نزاع.

هؤلاء يريدون أن يأتى القرآن ويقول: قد حرمت عليكم الحشيش، أو قد حرّمت عليكم الويسكى أو الكُنياك أو الشمبانيا! القرآن لا يأتى بالتفصيلات، والسنة لا تأتى بالتفصيلات، إنّما تضع مبادئ عامة وقواعد كلّيّة ونصوصاً مطلقة، يدخل تحتها آلاف الجزئيّات والمسائل. هذا ما يأتى به القرآن وما تجىء به السنة.

القرآن قد حرّم الخمر وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾[المائدة: ٩٠، ٩١]. هكذا نزلت الآيتان الكريمتان فى سورة المائدة، وحينما قال الله تعالى: «فهل أنتم منتهون» قالوا: قد انتهينا يارب.. قد انتهينا يارب.

كان الرجل منهم يمسك بالكأس فى يده، شرب بعضها وبقى بعضها، فأفرغها ولم يكمل الكأس. ثم ذهبوا إلى بيوتهم فجاؤوا بقرب الخمر وأفرغوها فى طرقات المدينة وقالوا: انتهينا يارب.

وكلمة «فاجتنبوه» ليست كما يزعم بعض النّاس كلمة خفيفة لا تدلّ على التحريم، بل تدلّ على أبلغ التحريم وأشدّه، ولذلك تأتى مع الشرك ومع الكبائر، كما قال تعالى: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾[الحج: ٣٠]، ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾[النحل: ٣٦]، ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ** [الأصنام والأوثان] **أَن يَعْبُدُوهَا** ﴾[الزمر: ١٧]، ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾[الشورى: ٣٧]. فهكذا كلمة (اجتنبوا) لا تأتى إلاّ مع الشرك والطاغوت والأصنام وكبائر الذنوب وفواحشها.

ومعنى «فاجتنبوه» أى: اجعلوا بينكم وبين هذا الشيىء جانباً وابتعدوا عنه. مثلها كقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ** ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ليس معناه (لا

تزنوا) فقط، بل ابتعدوا عن كلّ ما يقرّب إلى الزنا: الخلوة.. التبرج.. الخلاعة.. النظرة بشهوة.. إلى آخر هذه الأشياء.

حرّم الإسلام الخمر ولعن فيها عشرا[1].. كلّ من ساهم فيها من قريب أو بعيد. فما هي الخمر؟

يقول عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – على منبر النبى ﷺ: إن الخمر قد حرمت، وهى من خمسة أشياء – وهى الأشياء التى كانت موجودة فى الحجاز وفى المدينة فى ذلك الوقت – : العنب، والتمر، والعسل، والبرّ (أى القمح)، والشعير. ثم قال: والخمر ما خامر العقل، ألا أن الخمر ما خامر العقل.

هذه الأشياء الخمسة هى التى كانت موجودة، لكنّ عمر وضع هذه القاعدة: الخمر كلّ ما خامر العقل، أى: خالط العقل ولابسه وأخرجه عن طبيعته المدركة المميزّة الحاكمة، بحيث أصبح يخلط بين الأشياء بعضها و بعض، ويرى البعيد قريباً والقريب بعيدا، ويرى المحال معقولاً، ولا يميزّ بين الصواب والخطأ، ولا بين النفع والضرّ والخير والشر.

(كلّ ما أخرج العقل عن طبيعته وخامره فهو خمر)، هكذا قال عمر أمام الصحابة ولم ينكر عليه أحد، فهذا إجماع من الصحابة.

وهذا ما ينطلق على هذه المخدرات: حشيش.. أفيون.. كوكايين.. هروين، كلّ هذه الأشياء تخامر العقل وتجعل الإنسان غير واع بنفسه ولا بما حوله، ويتصور الأشياء على غير ماهى عليه. الناس يقولون عنه: مسطول..، إنسان تائه ضائع، .. لا يعرف واجبه، ولا يعرف حقه، لا يعرف نفسه، ولا يعرف ربه، ولا يعرف أهله، ولا يعرف وطنه، إنسان فقد الوعى.

---

(١) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ فى الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشترى لها، والمشترَى له. رواه ابن ماجة، والترمذى واللفظ له، وقال: غريب من حديث أنس، قال الشيخ القرضاوى معلقا على الحديث: وقد روى نحو هذا عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر عن النبى ﷺ فالحديث صحيح بشواهده، وهو يدلّ مع ما يشابهه على القاعدة الإسلامية: أنّ الإسلام إذا حرّم شيئاً حرّم كلّ ما يفضى إليه ويساعد عليه، وقد بينت ذلك فى الباب الأول من كتابى (الحلال والحرام فى الإسلام) فليراجع. (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٦٥٢ برقم ١٤٠١).

فمثل هذا نعتبره قد تناول الخمر بالمفهوم العُمَرِى، لا فرق بين الخمر المعروفة وهذه الأشياء، إلاّ أنّ الخمر مادّة سائلة، وهذه الأشياء مادة جامدة، والجمود والسيلان لا أثر له فى الأحكام. المهم الأثر الذى يتركه على عقل الإنسان.

هؤلاء الذين يأكلون الحشيش أو يتناولون الأفيون أو يشمّون الهروين أو نحو ذلك، أناس فقدوا وعيهم، يعيش الواحد منهم لشهوته.. (لكيفه) كما يقولون. ويقول أحدهم: (راس بلا كيف يستاهل ضرب السيف)! وهو الذى يستاهل ضرب السيف فعلا.

هؤلاء أناس فقدوا وعيهم، لم يعودوا يصلحون لدين ولا دنيا، لم يعودوا يصلحون لحماية أسرة ولا لحماية مجتمع. هؤلاء ضحايا هذه المواد المخدّرة.

القرآن حرّم الخمر، والأحاديث حرّمت الخمر، وهؤلاء من شرّاب هذه الخمر، فالخمر ما خامر العقل.

ثم من ناحية ثانية: القرآن قد حرّم الخبائث. كان من أوصاف النبى ﷺ فى كتب أهل الكتاب (أهل التوراة والانجيل) أنه: ﴿**يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[الأعراف: ١٥٧]. اليهود حرّمت عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم كما قال الله تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ**﴾[النساء: ١٦٠، ١٦١]. حرّم الله عليهم الطيبات بسبب هذه المناكر وهذه الكبائر.

أمّا محمّد ﷺ فجاء يحلّ لأمّته كل الطيبات، ويحرّم عليها الخبائث. الأشياء الضارة والمؤذية والسيئة ما حرّم إلاّ خبيثاً وضاراً ومؤذياً، كلّ ما حرّمه الإسلام فلخبثه ولضرره: ضرره المادى أو ضرره المعنوى، ضرره الحاصل أو ضرره المستقبلى، ضرره على الفرد أو ضرره على المجتمع، ضرره على الجسم أو ضرره على العقل، فالتحريم فى الإسلام يتبع الخبث والضرر.

من يقول إن هذه المخدرات نافعة وإنّها من الطيبات؟ إنها قطعاً من الخبائث من المضار، من المؤذيات، ولذلك نجد العالم كلّه يحاربها.

هناك بلاد كثيرة تبيح المسكرات - للأسف الشديد - ولكنّها تمنع المخدرات وتحاربها، لأنّ الجميع يوقن أنّها من الخبائث ومن المضار ومن المؤذيات للفرد وللجماعة.

ومن ناحية ثالثة: نجد القرآن يقول: ﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً** ﴾[النساء: ٢٩]. الذين يبيعون هذه المخدرات ويروجونها يأكلون أموال الناس بالباطل، وهم يضلون بها الناس بغير حق، والذين يتناولونها يقتلون أنفسهم. قد لا يكون قتلاً سريعاً، ولكنه قتل بطيء وانتحار بطيء.

الذى يتناول هذه المخدرات يقتل نفسه وقد قال علماؤنا: لايجوز للمسلم أن يتناول شيئاً من طعام أو شراب يضرّ نفسه، لأن هذا الجسد ليس ملكاً لك، إنّه ملك الله، استودعك الله إيّاه، أمانة عندك لله عزّ وجل، لايجوز أن تخون هذه الأمانة وأن تفرّط فيها، وأن تؤذى نفسك وأن تضرّ جسدك، ولذلك قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»(١) لا تضرّ نفسك ولا تضار غيرك.

فى سرية من السرايا كان المسلمون بقيادة عمرو بن العاص، وفى ليلة باردة احتلم عمرو بن العاص وأصابته الجنابة، فتيمم وصلى بأصحابه، فأنكر بعضهم ذلك عليه، وشكوا للنبى ﷺ، فسأل النبى عمراً وقال: «ياعمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب»؟! قال: يارسول الله، كانت الليلة باردة شديدة البرودة وقد ذكرت قوله الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً** ﴾[النساء: ٢٩]، فتبسم النبى ﷺ(٢)، معناه أقرّ عمراً على هذا الفقه. فهذه سنة تقريرية.

---

(١) رواه أحد وابن ماجة، عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال الهيثمى: رجاله ثقات، وقال النووى فى الأذكار، هو حسن. ورواه الحاكم والدارقطنى عن ابن سعيد وقد حسنّه النووى فى الأربعين النووّية وقال: ورواه مالك مرسلاً وله طرق يقوّى بعضها بعضا، وقال العلائى: للحديث شواهد ينتهى مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به ينظر (فتح القدير للمناوى: ٦/ ٤٣١ - ٤٣٢ برقم ٩٨٩٩).

(٢) تقدّم ذكر حديث عمرو بن العاص هذا وتخريجه فى صفحة (٥٨).

لايجوز للإنسان أن يقتل نفسه ولو فى عبادة، فكيف يقتل الإنسان نفسه بتناول هذه السموم؟!

هذا ما جاء به القرآن، وهذا ما جاءت به السنة.

ثمّ جاءت السنة فيما روته أمّ سلمة رضى الله عنها فى الحديث الذى رواه أبو داود قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[1]. المسكر معروف، والمفترّ هو الذى يصيب الجسد بالفتور وبالخدر. فقرنه النبى عليه الصلاة والسلام مع المسكر فى سياق واحد، ونهى عن هذا وذاك. أمّا المسكر فلا يشكّ أحد فى تحريمه، وكذلك المفترّ، فقد اقترنا فى سياق واحد.

وهناك إجماع علماء الأمّة من جميع المذاهب على تحريم هذه المخدّرات. وكانت المخدرات فى عصرهم تتمثل فى تلك التى سمّوها (الحشيشة) أو الأفيون. أمّا الآن فقد أصبحت أشدّ خطراً، وأبعد أثراً، وأكثر تدميرا. هذه (السموم البيضاء) التى ظهرت الآن، والتى يسمّونها (البُدْرة): الكوكايين والهروين، وهذه الأشياء، التى خفّ حملها وغلا ثمنها، وبعض الجرامات أو الكيلو جرام منها تُقدّر بالملايين.

هذه الأشياء أصبحت تغزو الناس، بشمّة واحدة يصبح الإنسان مدمناً، وهم يصلون إلى الشباب وإلى الرجال وإلى النساء بوساطات شتىّ وبوسائل مختلفة. هؤلاء اللصوص تجار المخدرات المحاربون لله ورسوله يجنّدون أناساً لينشروا هذه السموم بين الناس، فإذا سقط أحدهم ضحية لهؤلاء فقد انتهت حياته، دُمرّ تدميرا، يصبح إنساناً مدمنا، لا يسيطر على نفسه، لا يملك إرادته، لا يفكر لنفسه.

عندما ينتهى تأثير اللقمة الأولى أو الحقنة الأولى أو الشمة الأولى يكون كالمجنون، يسعى إلى من يغذّيه بهذا الشيىء من جديد. إذا كان معه مال أنفق

---

(١) رواه أحمد وأبو داود، ورمز السيوطى لصحته فى الجامع الصغير، قال المناوى: رمز المصنف لصحته وهو كذلك، فقد قال الزين العراقى: إسناده صحيح (فيض القدير للمناوى: ٦/٣٣٨ برقم ٩٥٠٧) وذكر العلامة المناوى أن عجمياً حضر القاهرة وطلب دليلاً لتحريم الحشيش، وعُقد له مجلس حضره أكابر علماء العصر، فاستدل الزين العراقى بهذا فاعجب من حضر.

ماله حتى ينفد ماله، فيسرق، يسرق من أبيه، يسرق من أخيه، يسرق من قريبه، يسرق من صديقه، يسرق من مال الشركة التى يعمل بها، أو الحكومة التى يعمل بها. يسرق حيثما كان وكيفما كان، حتى يستجيب لهذه الشهوة العارمة المدمّرة، حتى يخمد هذه النار الناجمة بين أضلاعه، ولا يتورع أن يعمل أى شيئ، حتى يريح أعصابه، ويشبع نهمته.

وهنا يصبح ضعيفاً رخواً يستطيع أعداء الأمّة أن يستغلّوه ليعمل لحسابهم، ليعمل جاسوساً لهم، يتجسّس على وطنه وعلى أهله وعلى أقرب الناس إليه، لقد ضعفت مقاومته وانهارت إرادته، فلم يعد عنده شيىء، أصبح بقايا إنسان!

ومن أجل هذا نجد أعداء الدين وأعداء الله وأعداء الوطن وأعداء الأمّة، يحاولون إشاعة هذه المخدرات فى الأمّة.

إسرائيل كما تحاول أن تنشر (الايدز) فى شباب الأمّة، تحاول أن تنشر المخدرات، وأن تروّجها، وأن تهرّبها إلى أمتنا لقتل الإرادة فى أبنائها، وتقتل روح المقاومة، وتقتل القوة النفسيّة التى هى ينبوع الجهاد والكفاح.

هذا ما يصنعه أعداء الأمّة.

لابدّ أن نقاوم هذه الآفات، نقاومها بكل ما نستطيع، بكل أجهزة الإعلام: تقاومها الصحافة، تقاومها الإذاعة، يقاومها التليفزيون. يقاومها المسجد، تقاومها المدرسة تقاومها الجامعة، يقاومها المربون، يقاومها الوعاظ، تقاومها الشرطة، يقاومها الناس كلّ الناس.

أصبحت المخدرات جزءاً من الحرب الشرسة التى تُشنّ على الإسلام والمسلمين، فلابدّ أن نكون أيقاظاً لهذه المعركة.

يجب أن نصون أبناءنا، ويجب على كل أب وعلى كل أمّ أن يكونوا أيقاظاً لحركات أولاده ولتصرّفاتهم، وأن يعرفوا من يصادقون ويصاحبون، فقد رأينا فى (الأفلام) ماذا يصنع هؤلاء للوصول إلى هؤلاء الشباب، والأهل فى غفلة لا يعلمون ماذا حدث لأولادهم. الولد يذهب ليسهر عند صديقه أو يذاكر

عند صديقه، وهو يذهب إلى تلك البؤرة العفنة، وإلى ذلك الوكر النجس القذر، حيث يصبح فريسة لهؤلاء، يتحكمون فيه كيف يشاؤون.

يجب أن نستيقظ وأن نباشر مسئوليتنا «كلّكم راع وكلّكم مسئول عن رعيّته..»[1].

لابدّ أن نقاوم هذه الآفة، نقاومها بالعقوبة. المتعاطى يجب أن يُعاقب، صحيح أنه ضحية، ولكنّه مسئول أمام الله، ومسئول أمام الشرع، ومسئول أمام القانون، فلابدّ أن يعاقب، يعاقب عقوبة شارب الخمر، يعاقب بالجلد، أو يعاقب بالسجن.

ومن وصل إلى حدّ الإدمان وسلّم نفسه يجب أن نعالجه، فتسليمه لنفسه نوع من التوبة، ومن تاب تاب الله عليه. لابدّ أن نفسح صدورنا للتائبين، ونعينهم على أنفسهم وعلى شياطينهم من الإنس والجن.

أمّا الذين يجب أن لا تأخذنا فيهم لومة لائم، ولا تأخذنا فيهم رأفة فى دين الله، فهم التجار الذين يروّجون هذه المخدرات.. هذه السموم الخضراء أو البيضاء أو الصفراء، سمّوها ما شئتم. لابدّ أن نقف لهؤلاء بالمرصاد، لابدّ من تشديد العقوبة عليهم.

وقد قلت منذ سنوات أن عقوبة هؤلاء يجب أن لا تقلّ عن الإعدام، السجون يدخلونها ويستطيعون بملايينهم أن يحّولوها إلى روح وريحان، بل كثير منهم يتخذون السجون وكراً لتهريب هذه الأشياء، ويتفقون مع آخرين لنشرها وهم فى داخل السجن، ويديرون الشبكة والتجارة وهم فى داخل السجن فى كثير من البلدان، إلاّ ما رحم ربك. فالسجن ليس عقوبة لهؤلاء، وليس تأديباً ولا تهذيباً ولا إصلاحاً لهم، إنّما العقوبة الرادعة هى (الموت).

---

(١) قطعة من الحديث الذى رواه أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، عن ابن عمر رضى الله عنهما، وتتمته: «فالامام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلّكم راع وكلّكم مسئول عن رعيّته» (فيض القدير للناوى: ٥/٣٨ برقم ٦٣٧٠).

إن الإسلام قد شرع القصاص لمن قتل نفساً واحدة كما قرّر القرآن: ﴿ **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعا** ﴾[المائدة: ٣٢]، من تجرّأ على قتل نفس يتجرّأ على قتل غيرها. ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** ﴾[البقرة: ١٧٨]، القاتل المعتدى المتعمدّ يجب أن يُقتل، فإذا قتل هذا القاتل المتعدي أحيينا نفوساً أخرى، وهذا ما قررّة القرآن حينما قال: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾

[البقرة: ١٧٩]

إذا كان من قتل نفساً واحدة يجب أن يُقتصّ منه، فكيف بهؤلاء الذين يقتلون مجتمعات، يقتلون شعوباً، ويدمّرون كيانها بهذه المخدرات ليثروا، وليصبحوا من أصحاب الملايين والبلايين؟!

هؤلاء يريدون أن يكسبوا الثروات والغنى على حساب حياة البشر، وأن يبنوا قصوراً من جماجم الخلق ويزخرفوها بدماء الناس. هؤلاء العثاة القساة الطواغيت لا علاج لهم ولا عقوبة لهم إلاّ الموت.. إلاّ الإعدام.

هناك في الشرع عقوبة (التعزير) التي تصل أحياناً إلى القتل، هكذا جاء في الأحاديث أنّ بعض العقوبات تصل إلى القتل، وهي ليست من الجرائم المعروفة الموجبة للقتل شرعاً، مثل من يتجسس لحساب أعداء المسلمين، ومثل الداعية إلى إفساد العقول بالبدع المغلظة ومن تكررت منه جرائم مثل اللواط، لإفسادها في الأرض، وهذا الذي يروج المخدرات لاشك مفسد في الأرض فيجب أن يُقتل.

في المملكة العربية السعودية بجوارنا قررّ العلماء أنّ من اغتصب امرأة وهتك عرضها عنوة، وتحت التهديد بالسلاح، فعقوبته (القتل)، وإن كان عزباً غير محصن. ولكن هذه الجريمة البشعة التي تشيع الخوف في الناس يجب أن يكون هذا عقابها، وهذه نظرة صحيحة وفقه سليم، تؤيده قواعد الشريعة ومقاصدها.

وكذلك مرتكب هذه الجريمة.. جريمة الاتجار بالمخدرات، والإثراء على حساب صحة الناس، وعقول الناس، وحياة الناس، هؤلاء ليس لهم عقوبة إلاّ الإعدام.

ثمّ هم من ناحية أخرى: محاربون لله ورسوله، وساعون في الأرض فساداً، هؤلاء الناس ينطبق عليهم قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[المائدة: ٣٣]، إنهم محاربون، وحدّ الحرابة يجب أن ينطبق عليهم ويختار الإمام أو القاضي من هذه العقوبات ماهو أليق بهم، وبحجم جرائمهم.

أيها الإخوة: لابدّ أن نقف ضد هؤلاء الذين يحاولون تدمير مجتمعاتنا، وتحطيم أبنائنا. هؤلاء قتلة سفّاحون لا يقتلون فرداً إنّما يقتلون أمّة، فلابد أن تتعاون الأمّة على حربهم.

هناك شيئ نسيت أن أقوله في تحريم هذه الأشياء: أن هذه المخدرات ضد مقاصد الشريعة الإسلامية. الشريعة جاءت بالمحافظة على الضروريّات الخمس: الدين والنفس والعقل والنّسل والمال.

هذه المصالح الضروريّة جاءت الشريعة بالمحافظة عليها، وكلّ أحكام الشريعة من عبادات ومعاملات وأنكحة وقضايا وحدود وقصاص كلّها تدور حول المحافظة على هذه الضروريّات الخمس، وما يكمّلها وما يلحق بها.

وهذه المخدرات ضد هذه الضروريات الخمس كلها:

هي ضد الدين لأنّها تصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة. الذي وقع ضحية هذه المخدرات لا ينهض لصلاة، ولا لصوم، ولا لحج، ولا لعمره، ولا لتلاوة قرآن، ولا لذكر الله، ولا لفعل خير.. لقد هلك، دُمرّ، انتهت حياته وإرادته.

وهي ضد المحافظة على النفس، لأنّها تُدمر نفس الإنسان، تُدمّر حياته، وتدمّر صحته، وتجعله أحياناً ينتهي بالموت. بعض هؤلاء المدمنين ينتهون بالموت، ومن لم يمت منهم فقد مات موتاً أدبياً. وما قيمة حياة فقد الإنسان فيها إرادته،

OBEIKAN.COM

ولم يعد قادراً على صنع شيىء، لا قادراً على أن يبدع، ولا على أن يبتكر، ولا على أن ينجح، فهو ميّت أشبه بالحى.

ثم هى ضد المحافظة على العقل، لأنّها تدمّر العقل، وتغيّب الإنسان عن وعيه. وما ميز الإنسان عن الحيوان إلا بعقله، والعقل هو مناط التكليف فى نظر الشرع.

ثمّ هى من ناحية أخرى ضد المحافظة على النّسل، لأنّها خطر على نسل الإنسان. الإنسان المدمن الذى وقع فى شباك هؤلاء لا يستطيع أن يرعى أطفالاً، لا أبناء، ولابنات، ولا زوجة. ولذلك كثيراً ما يضيّع أولاده وهو لا يدرى، لأنّه فقد الوعى بالمسئولية.

ثمّ هى ضد المحافظة على المال أيضا، لأنّ الإنسان يضيّع فيها ماله، بل يسرق مال غيره، يضيّع المال فيما يضرّه ولا ينفعه، فيما يهدمه ولا يبنيه.

فهى ضد هذه الضروريات كلها.

من أجل هذا لا ينبغى أن يشكّ أحد فى تحريمها.

ما الوقاية من هذا؟ وما العلاج لهذه الآفة؟

الحقيقة – أيّها الإخوة – أنه لا علاج لها إلاّ بمنع تهريبها، ودخولها إلى بلادنا، وبمقاومة مروّجيها، وبإعدام المتجرين فيها ليكونوا عبرة لغيرهم، وقلّما نصل إليهم، لأنّهم دونهم أسوار وأسوار، وكثيرا ما يختبئون وراء آخرين من الكبار!

ولكن نستطيع الوقاية منها، والوقاية خير من العلاج، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج. وأعظم وقاية من هذه المخدرات والآفات هى التربية الدينيّة الصحيحة.

الدين هو الواقى الأوّل والسلاح الأوّل والموئل الأوّل، الذى ينبغى أن نفزع إليه فى محاربة هذه الآفات المدمّرة القاتلة.

إذا ربّينا أولادنا تربية دينيّة، وعيّشناهم فى بيئة صالحة، وعرفنا كيف نختار لهم الأصدقاء الأخيار، والأصحاب الأطهار، ولم نتركهم لأصدقاء السوء يفسدونهم ويدمّرون عليهم حياتهم، إذا استطعنا أن نعيّش أولادنا فى بيئة صالحة، ومحضن صالح يرعى عقولهم وإراداتهم ويعلّمهم مخافة الله، ورقابته سبحانه، والإيمان بالآخرة، وذكر الحساب والجنّة والنار، إذا أقمنا هذا الوازع الذاتى وهذه الروادع الأخلاقيّة فى نفوسهم، إذا أحيينا هذا الضمير الدينى فى صدورهم، فقد أقمنا سداً منيعاً بينهم وبين هذه الآفات.

الشاب المتدين الملتزم بدينه، وبقيم دينه، وبأخلاق دينه، هو أبعد الناس أن يقع فريسة لهؤلاء، لأنّه لا يشرب حتى سيجارة، السيجارة يراها حراماً ومنكراً، وأوّل الآفات هى السيجارة، من السيجارة يبدأ الفساد ومن خلالها يمكن أن يأخذه دعاة الفساد، وتجار الشرور إلى الأشياء الأخرى، والمنكرات الكبرى.

الشاب المتدين لا يتناول سيجارة، ولا شيئاً محرما أو مشتبهاً فيه بأى طريقة كان، ولا يأخذ شيئاً من ذلك بالفم ولا بالشمّ ولا بالحقن، ولا بأى شىء من هذا. ويمتنع تماماً بكامل إرادته عن هذه الأشياء، ويعيش فى بيئة صالحة.

إن ابن المسجد وابن القرآن وابن الإسلام، هو الذى يستعصى على هؤلاء، لا يستطيع هؤلاء أن يصلوا إليه بحال من الأحوال، فقد حصّنه الله بالإيمان، وحصّنه الله بالاستقامة، فلا يستطيع شياطين الإنس أن يصلوا إليه، كما عجز شياطين الجن أن يصلوا إليه: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً**﴾ [الإسراء: ٦٥].

أيّها الإخوة:

حافظوا على أبنائكم بتربيتهم التربية الدينية، بوضعهم فى البيئة الصالحة، بأن يكونوا تحت إشراف علماء ودعاة ومربين صالحين، لا تتركوهم يضيعوا ويذوبوا فى مجتمع الفساد كما يذوب الملح فى الماء، فهذا أخطر الأشياء. ونحن

فى عصرنا أصبحنا نحارَب من كلّ جهة، ونُغزى من يمين وشمال، بأجهزة شتىّ، فلابدّ أن نحافظ على أبنائنا.

حافظ على ابنك، علّمه الصلاة، علّمه الأخلاق، علّمه فرائض الدين، علّمه فرائض الخير، علّمه مقاومة الشر، صله بالخيِّرين من الناس، واطمئنّ إليه بعد ذلك إن شاء الله. فقد وضعته فى طريق السلامة.

بهذا وحده نقاوم هذه الآفات القاتلة وهذه المخدرات المهلكة، ونحمى أولادنا، ونحمى شبابنا، ونحمى مجتمعنا، من كل من يريد به السوء.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفّقنا لما يحب ويرضى، وأن يفقهنا فى ديننا، وأن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا، إنّه سميع قريب.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

آسفنا أشدّالأسف ماقرّره مجلس النواب الأمريكى، من اعتبار (القدس) عاصمة لإسرائيل، وقرّر نقل السفارة الأمريكية إليها، ورصد لذلك مائة مليون دولار.

وهذا – وإن آسفنا – لانستغربه من سياسة أمريكا، التى وقفت إلى جانب باطل إسرائيل فى كل حين. ليس هذا أوّل موقف تتخذه أمريكا متحدية بذلك العرب والمسلمين فى العالم كلّه، طالما وقفت بقرارها (الڤيتو) مع إسرائيل ضدّ العالم. العالم فى جانب وأمريكا فى جانب، ويقولون: إنهّا راعية السلام! ماهذا الراعى؟! إنّه الراعى الذى قال فيه الشاعر:

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟!

أىّ سلام ترعاه أمريكا وهى متحيزّة مائة فى المائة (١٠٠٪) لإسرائيل؟! كأنّها لا تعير ألفاً وثلاثمائة مليون من المسلمين أىّ التفاتة، ولا تقيم لهم وزنا.

لا العرب، ولا المسلمون، ولا الأحرار فى العالم، لهم اعتبار عند أمريكا، إنّما الذى له اعتبار هو إسرائيل ونتنياهو، فهى معهم على طول الخط، لا يمكن أن تقف ضدّهم. وهذا هو الذى ينبغى أن نؤمن به: هذه أمريكا، وهذه سياستها، وهذا منهجها.

العجيب فينا نحن العرب، العجيب أنّنا لازلنا نتغنّى بالسلام وعمليّة السلام! أىّ سلام هذا؟! ماهذا السلام ياقوم؟ إنّه سلام اليهود وحدهم وليس سلامنا، السلام لهم هم.

القدس يُراد أن تصبح كلّها - شرقيّها وغربّيها - عاصمة موحّدة وأبديّة لإسرائيل، ولازالت السياسة الإسرائيلية مستمرة فى إزالة المعالم وإقامة المستوطنات، و ما جبل (أبو غنيم) إلاّ خطوة من خطوات هذه السياسة المرسومة، والفلسفة المعلومة. وهم يحفرون حول الأقصى ليوم رسموه وقدّروه ينهدم فيه هذا المسجد، وليس ذلك فيما أظنّ ببعيد.

ماذا يصنع العرب وماذا يصنع المسلمون حينما ينهار المسجد الأقصى؟ سيصنعون ما صنعوه حينما قُتل من قُتل يوم فتح النفق، وحينما قُتل من قُتل فى (قانا)، وحينما قُتل من قُتل فى مسجد الخليل، وحينما فعلت إسرائيل ما فعلت من قديم ومن حديث.

ماذا نفعل؟ نشجب ونستنكر ونبعث بالبرقيّات ونصّرح التصريحات؟!

الأمر لابدّ أن يُقاوم، لابدّ أن نرفض هذا، لابدّ أن نقول (لا) بملء فينا، وأنّ ما أُخذ بالقوّة لابدّ أن يسترد بالقوّة. هذه قضيّة مسلّمة، لا يمكن أن تقاوم السنان باللسان وأن تقاوم السلاح بالكلام، هذا مستحيل.

لابدّ من الجهاد، لابدّ أن تجاهد هذه الأمّة ولو بالعصى والنبابيت[1] وأن تقاتل ولا تسلّم أبدا.

---

(١) جمع نبوت. وهو فى لغة العامة: العصا الفليظة الطويلة.

OBEIKAN.COM

قد نكون عاجزين اليوم، ليكن، ولكن (رَفْضنا) هو نوع من المقاتلة.

يجب أن نرفض ما تفعله إسرائيل، ونقاطع إسرائيل. كلّ مسلم يجب أن يقاطع بضائع إسرائيل، لا يشترى من إسرائيل، ولا يبيع لإسرائيل. لو رأيت البضاعة الاسرائيلية أمامك وهى أجود وأرخص من غيرها فلا تشترها، لأنّك حينما تشتريها فإنّ هذا المال الذى تدفعه ينقلب إلى رصاصات فى صدر إخوانك وأخواتك فى فلسطين.. فى الخليل.. فى القدس.. فى نابلس.. فى غيرها من المدن والبلاد.

احرص على مقاطعة إسرائيل، هذه فريضة دينيّة.

نحن نستطيع أن نقاوم، وأن نقاطع، وأن نقول (لا). أهمّ شيىء أن نقول (لا) بملء أفواهنا، لا نتلعثم ولانتردد. وهذه (لا) تغضُّ مضاجع اليهود، وتزلزل أقدام اليهود، وترعب قلوب اليهود.

لو قال مائتان وخمسون مليوناً من العرب – ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين – : (لا) يايهود، لا، لن نفرّط فى القدس، لا، لن نفرّط فى الأقصى، لا، لن نفرّط فى أرض النبوّات، لا، لن نفرّط فى أرض الإسراء والمعراج، إذا قالوها كان لها دويّ هائل يصمّ الآذان.

يجب أن نقول: (لا) ولا بديل لهذا، (لا)، ثم (لا)، ثم (لا)، وإن شاء الله النصر لنا، والمعركة النّهائيّة لنا، وسينصرنا الله عز وجل، لأنّه قال سبحانه: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

* * *

OBEIKAN.COM

(٩) يوم الغذاء العالمى [١]

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

فى هذا الأسبوع أعلنت منظمة الأغذية والزراعة فى هيئة الأمم المتحدة، يوم السادس عشر من أكتوبر يوماً للغذاء العالمى، طلبت من العالم أن يحتفل بهذا اليوم، وأن يعتبر هذا اليوم يوم الغذاء العالمى، وقال مدير المنظمة: إنّما أردنا بذلك أن ينتبه الناس إلى أزمة الجوع، وإلى محنة الجائعين فى عدد كثير من أقطار العالم، حتى يتعاون العالم كلّه شرقيّه وغربيّه شماليّه وجنوبيّه على الوقوف فى وجه هذا البلاء، أو التخفيف من ويلاته، والتخفيف من بؤس الجائعين فى العالم.

هكذا مرّ هذا اليوم (يوم الغذاء)، وإن شئت قل: (يوم الجوع)! اليوم الذى يذكرّ الناس بالجوع. ونظرت إلى خريطة العالم، فإذا معظم البلاد التى تعانى الجوع وتعانى البؤس، ولا يجد كثير من أهلها القوت - الذى إذا انعدم فإنّ الإنسان يموت - هى بلاد المسلمين!

بلاد المسلمين تعانى الجوع ويعانى أبناؤها أزمات متلاحقة بسبب هذا الجوع، الذى يصفه النّاس دائماً بأنّه كافر. ومعنى أنه كافر: أنّه قد يؤدى بصاحبه إلى الكفر.

الذى لا يجد القوت قد يكفر والعياذ بالله، قد يتشكّك فى عدالة الله سبحانه وتعالى فى توزيع الأرزاق، أو فى حكمته فى تدبير الكون، ولهذا روى فى حديث ضعيف: كاد الفقر أن يكون كفرا.

الجوع خطر على العقيدة إذن.

وهو خطر على العبادة، فإن الإنسان الذى لا يجد قوته لا يستطيع أن يخشع فى صلاته، لا يستطيع أن يعبد ربه العبادة المرجوّة.

---

(١) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بالدوحة، بتاريخ ١٦/٦/١٤١٨هـ الموافق ١٧/١٠/١٩٩٧م.

ولهذا امتنّ الله على قريش بقوله تعالى: ﴿ لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾[قريش: ١ - ٤]. نعمتان من أعظم نعم الله تعالى على الخلق فى حياتهم: نعمة الطعام، ونعمة الأمن.

وشرّ ما يُصاب به الناس أن يفقدوا الرخاء والشبع، ويفقدوا الأمن والاطمئنان، ولهذا قال تعالى: ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾[النحل: ١١٢]. الجوع والخوف شرّ ما تُبتلى به المجتمعات.

الجوع خطر على العقيدة، خطر على العبادة.

وهو خطر على الأخلاق والسلوك، لا تأمن أن يسرق الجائع وأن تنحرف الجائعة، وأن تعمّ الرذائل، وينتشر وباؤها فى المجتمع، وقد جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى [١] فى ذلك الرجل الذى تصدّق فى جنح الليل بصدقة حتى لا يراه الناس، فصادف أن وضعها فى يد سارق، وفى الليلة الثانية تصدّق فكانت فى يد امرأة زانية، وظنّ الرجل أنّ صدقته ذهبت هباء، فأُتى فى منامه فقيل له: أمّا صدقتك على سارق فلعلّه أن يستعفّ عن سرقته، وأمّا الزانية فلعلّها أن تستعفّ عن زناها.

معنى هذا أن الجوع قد يدفع الإنسان ليسرق وهو غير مريد للسرقة فى الأساس، ليس من اللصوص، وقد يدفع المرأة أن تفرّط فى عرضها من أجل أن تأكل أو يطعم أولادها وأطفالها. وهى ليست من أهل الزنا.

---

(١) ومسلم والنّسائى، عن أبى هريرة رضى الله عنه، ولفظ البخارى: «قل رجل لأ تصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على سارق، فقال: اللهم لك الحمد على سارق، لأ تصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدّق الليلة على زانية، فقال: اللهمّ لك الحمد على زانية، لأتصدقنّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها فى يد غنىّ، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدق الليلة على غنى، فقال: اللهم لك الحمد على سارق وزانية وغنى. فأتى، فقيل له: أمّا صدقتك على سارق فلعلّه أن يستعفّ عن سرقته، وأمّا الزانية فلعلّها أن تستعفّ عن زناها، وأمّا الغنىّ فلعلّه أن يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/١٠٥ - ١٠٦ برقم ١٢).

الجوع خطر على الأخلاق والسلوك.

وهو خطر على العقل والفكر، فالجائع لا يستطيع أن يفكر تفكيراً سليما، إنّه مشغول بلقمة الخبز له ولأهل بيته، فكيف نكلّفه أن يفكر؟ ولذلك حينما جاءت الجارية إلى الإمام محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة – وكان فى الحلقة يدرّس لأصحابه وتلاميذه، وقد حضّر مجموعة من المسائل ليناقشهم فيها – تقول له: يا سيدى لقد نفد الدقيق من البيت، البيت لم يعد فيه دقيق. فقال لها: قاتلك الله لقد أضعت من رأسى أربعين مسألة من مسائل الفقه!

أضاع هذا الخبر المسائل من رأس هذا الإمام!

الإنسان الذى لايجد القوت لا يستطيع أن يفكر، ولهذا كان من الحكم: لا تستشر من ليس فى بيته دقيق! لأنّه مشغول عنك بلقمة خبزه وخبز أولاده.

الجوع خطر على الحياة كلّها، خطر على أمن المجتمع واستقراءه، حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: عجبت لمن لا يجد القوت فى بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟!

الجوع يمكن أن يحدث ثورة اجتماعية لا تبقى ولا تذر، لأن الإنسان قد يصبر على أىّ شيىء، ولكنّه لا يصبر على الجوع. ولو صبر على جوع نفسه كيف يصبر على جوع أطفاله، وهم يتلوّون أمامه ويتضاغون ولا يجدون ما يشبع النّهم، و ما يمسك الرمق؟

الجوع إذن خطر على الفرد وعلى الأسرة وعلى المجتمع لهذا فإن الإسلام لا يقبل أبداً أن يجوع النّاس، لابدّ أن يكون لكل إنسان كفايته، وأن يُعطى له ما يتمّم كفايته من كل ما يحتاج إليه حاجة أساسيّة، وأوّلها: الطعام والشراب. لابدّ أن يأكل، ويأكل من الطيبات التى أودعها الله فى هذه الأرض.

إنّ الله سبحانه وتعالى حينما ذكر الطيبات فى القرآن، لم يذكرها فقط لمجرد أن نقرأها، إنّما ذكرها أيضاً لنحاول أن نستمتع بها، وقد نادى النّاس جميعاً أن يأكلوا من هذه المائدة الإلهية الممدودة للبشر جميعا:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ﴾[البقرة: ١٦٨]، ﴿ هُوَ

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[الملك: ١٥]، رزق الله ممدود للجميع، فلا بّد للناس أن يأكلوا من هذا الرزق.. من هذه الطيبات التي هيّأها الله للإنسان.. كل بنى الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[الإسراء: ٧٠].

حينما يذكر الله تعالى في سورة النّحل - وقد سمّاها بعض السلف سورة النّعم-: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النّحل: ١٠-١٤]. ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ * وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[النحل: ٦٦-٦٨]، كل هذه الأنواع من النعم والطيبات لماذا تذكر في القرآن؟ أليس هذا دليلاً على أنّها من حظّ الإنسان وحقّه في هذه الحياة، وأن يتمتع بما أودع الله له في هذا الكون؟

الإسلام يريد من الإنسان عامّة ومن المسلم خاصّة ومن كل من يعيش في ظلّ مجتمع الإسلام: أن يحيا حياة طيّبة، وأن يستمتع بما خلق الله من الطيبات، فما كان الله سبحانه وتعالى ليخلق هذه الطيبات ثمّ يحرمه منها: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[الجاثية: ١٣]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان: ٢٠].

الجوع إذن شيىء لا يحبه الإسلام، وكان النبى ﷺ يقول: «اللهم إنّى أعوذ بك من الجوع فإنّه بئس الضجيع.»(١).

لماذا إذن يجوع الناس؟ ألأنّ الله لم يضع فى الكون ما يكفيهم؟ كذب الذين قالوا ذلك. ذهب بعض العلماء الاقتصاديّين من المتشائمين مثل (مالتوس) وغيره: أن موارد الكون لا تكفى الناس وأن الحاجات الإنسانيّة كثيرة والموارد الموجودة فى الأرض محدودة، وأن هذا هو جوهر المشكلة الاقتصادية.

وهذا غير صحيح.

إنّ الله قبل أن يخلق الانسان هيّأ له ما يكفيه: ﴿ **وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ** ﴾[فصّلت: ١٠]، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ** ﴾[الأعراف: ١٠، ١١] أى قبل خلق الناس هيّأ الله لهم فى الأرض معايشهم.

المعايش موجودة وقد ضمن الله الرزق لكلّ حىّ، فقال تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾[هود: ٦]. الرزق مبثوث فى الكون، ولكن البشر لم يحسنوا استغلال هذا الرزق كما أراد الله سبحانه وتعالى.

البشر لم يستخدموا إلى الآن عُشر المساحة الصالحة للزراعة فى هذه الكرة الأرضيّة، أى فى الجزء اليابس وهو أقل من ثلاثين فى المائة(٣٠٪) من مجموع الكرة الأرضيّة، لأنّ أكثر من سبعين فى المائة (٧٠٪) بحار ومحيطات. وحوالى نصف هذا اليابس صالح للزراعة والباقى جبال وصحار. الجزء الصالح للزراعة لم يستخدم منه إلاّ حوالى العشر، وبقى إذن تسعة أعشار.

بل أنّ هناك تجارب بشريّة تقول: إنّ الصحارى يمكن زراعتها، وقد قام أناس كثيرون فى بلاد شتّى بتحويل اللون الأصفر إلى لون أخضر.

---

(١) رواه أبو داود والنّسائى وابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه، وتتمته: « وأعوذ بك من الخيانة فإنّها بئست البطانة » (كشف الخفاء للعجلونى: ١/ ١٩١ برقم ٥٧٧).

OBEIKAN.COM

بالعقل والعلم والعمل والجهد البشرى يمكن تحويل الصحراء إلى بقعة خضراء، وقد أعطى الإنسان من الوسائل الكثير، وعلّم الله الإنسان ما لم يعلم.

وهناك الجزء المائى من هذه المعمورة وهو أكثر هذه الأرض. البحار فيها إمكانيات كثيرة لإمداد الإنسان بالغذاء.. بالسمك والحيوانات البحرية، وبغير ذلك من أعشاب وأشياء أخرى، ويمكن زراعة نباتات وكائنات حيّة فى الماء، ليستفيد الناس من هذه المساحة الضخمة.

الرزق إذن موجود، ولكنّ الناس لم يستفيدوا منه.

لابدّ من عمل، وعمل كثير، وخصوصاً فى بلادنا الإسلامية. لابدّ من زيادة الإنتاج، ولابدّ من ترشيد الاستهلاك، ولابدّ من عدالة التوزيع.(١)

عناصر ثلاثة بعضها إلى جنب الآخر، حتى يمكن أن يقاوم الناس أزمة الجوع ومحنة الجوع.

ذكر القرآن لنا قصّة ليست للتسلية، ولكن كما قال الله تعالى فى آخر السورة نفسها: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ [يوسف: ١١١]. فى قصّة (يوسف) – عليه السلام – عبرة، فقد عمّت مصر وما حولها مجاعة خانقة. يبدو أن ماء النيل قد نقص لعدّة سنوات أو كان يوشك أن ينقص، وقد رأى الملك رؤياه العجيبة، و هّيأ الله (يوسف) ليعبرّ الرؤيا، وليضع الخطة، وليقوم على تنفيذها.

فقد أعلمه الله – ممّا علّمه من تأويل الأحاديث – أنّ مصر مقبلة على سنوات خصبة سبع، وبعدها مثلها سبع عجاف، ثم يأتى الغيث والفرج.

كيف واجه (يوسف) هذا الأمر؟

واجهه بخطّة من ثلاثة عناصر:

---

(١) من أراد التوسّع فى هذا الموضوع فليراجع ما كتبه الشيخ القرضاوى حول هذه العناصر الثلاث فى كتابة القيمّ: (دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى) ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

فى السنوات السبع الأولى: زيادة وتنمية متتابعة ومستمرة للإنتاج، تحسباً للغد، وتهيّئاً لاحتمالات المجاعة المقبلة، وهنا قال لهم: ﴿ **تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ** ﴾[يوسف: ٤٧] الاجتهاد والزراعة الدانية لزيادة الإنتاج، ثم ما يُنتج لا يؤكل منه إلاّ القليل (**فذروه فى سنبله**) يُخزّن، ويُخزّن بهذه الطريقة: يوضع فى سنبله، حتى يبقى أطول مدّة ممكنه. (**إلاّ قليلاً مّما تأكلون**) وهذا ما يسّميه الناس الآن: ترشيد الاستهلاك، أنتج كثيراً واستهلك قليلاً لتواجه الأزمة.

وفى السنوات السبع الأخرى: يكون التخطيط، والأكل بحساب والاستهلاك بمقدار﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ** [كأنّها سباع فاغرة أفواهها] **مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾[يوسف: ٤٨]، لاحظ قوله: « ماقدمتم لهن » لتعلم أن الاستهلاك هنا مقنن، وليس مفتوحا على مصراعيه، ومعنى قوله: « إلا قليلا مما تحصنون » يشير إلى أمر مهم. أى: أحصنوا واحفظوا وادخروا بعض البذور، حتى إذا جاء الماء وجدتم شيئاً تبذرونه، وإلاّ ما قيمة أن يأتى الماء وليس عندك بذر؟ (يوسف) عليه السلام و اجه الأزمة:

١- بزيادة الإنتاج والإشراف عليه.

٢- وتقليل الاستهلاك وترشيده.

٣- وعدالة التوزيع: أنه لا يدع الأغنياء يأخذون ما طاب لهم، ويدع الفقراء ضائعين، لا، لابدّ من عدالة التوزيع، بحيث يستطيع الفقير أن يصل إليه ما يحتاج إليه، ولو لم يكن معه ثمنه.

ولهذا حينما جاء إخوته من بعيد، ولم يكونوا يعرفون أنّه أخ لهم، ولكن نادوه فقالوا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ** ﴾[يوسف: ٨٨] هنا للصدقة مكانها ومجالها.

وقد كان يوسف عليه السلام مثلاً للآخرين فى هذا الأمر، فكان إذا أكل لا يشبع، فلّما قيل له: تجوع وفى يدك خزائن الأرض؟! يردّ عليهم قائلاً: إنّى أخاف إذا شبعت أن أنسى جوع الفقراء!

الإسلام يواجه أزمة الجوع بهذه العناصر:

١- بالعمل على تنمية الإنتاج وتنويعه وتحسينه:

أن يعمل الناس فى كلّ مجال يحتاجون إليه، وخاصّة فى مجال الزراعة، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول: «من أحيا أرضاً ميّتة فهى له..»[١]، ويقول: «ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة»[٢]، ويقول: «إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيله [نخلة صغيرة أو شتلة] فإن استطاع أن لاتقوم حتى يغرسها، فليغرسها»[٣]، إلى هذا الحد من الحث على عمارة الأرض والإنتاج للحياة.

الزراعة عبادة، وكلّ ما يوصّل إلى الناس قوتهم: صيد الأسماك، وصيد الحيوانات البرية والبحرية، والعمل على زيادة الثروة الزراعية، والحيوانية من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك، ومن الدواجن والطيور ومن كل ما يستهلكه الناس.

لقد حمل القرآن حملة كبرى على الذين عطّلوا هذه الثروة من المشركين الذين حجزوا بعض أنواع الأنعام وقالوا: هذه للأصنام، وهذه كذا، وحرّموا أكلها، فقال الله تعالى: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ**

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، والضياء، والبيهقى، عن سعيد بن زيد رضى الله عنه، وقال الترمذى: حسن غريب وتتمته: «وليس لعرق ظالم حق» (فيض القدير للمناوى: ٦/ ٣٩ - ٤٠ برقم ٨٣٤٤).

(٢) رواه أحمد، والبخارى، ومسلم، والترمذى، عن أنس رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٥/ ٤٩٦ برقم ٨٠٩٦).

(٣) رواه أحمد، والبخارى فى الأدب المفرد، والبزار، والطيالسى، والديلمى، عن أنس رضى الله عنه، قال الهيثمى: ورجاله ثقات وأثبات (فيض القدير للمناوى: ٣/ ٣٠ - ٣١ برقم ٢٦٦٨).

﴿ولكنَّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾[المائدة: ١٠٣]. ونزلت سورة الأنعام تناقش هؤلاء: من أين لكم هذا التحريم ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الأنعام: ١٤٣]. حمل على هؤلاء الذين أحلّوا الحرام وحرّموا الحلال، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[الأنعام: ١٤٠].

جاء الإسلام يدعو إلى زيادة الإنتاج، ويعتبر العمل لهذا الأمر عبادة وجهاداً فى سبيل الله. وكلّ عمل فى هذا الجانب فهو عبادة وجهاد.

ومن اللطائف أنّ فقهاءنا اختلفوا أىّ الأعمال أفضل: الزراعة، أم الصناعة، أم التجارة؟ ولكن المحققين منهم قالوا: حينما يحتاج الناس إلى الأقوات فليس هناك عمل أفضل من الزراعة، لأنّها توفر للناس قوتهم وغذاءهم حتى يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم.

وتنمية الإنتاج تكون بالكم وبالكيف. بالكم: بأن تزرع أرضاً لم تكن مزروعة، وبالكيف: بأن تحسّن الإنتاج، تأتى للأرض بسماد يخصّبها، وتبحث عن بذرة أفضل، فإنّ بعض البذور ينتج أفضل ممّا تنتجه البذور الأخرى، أحياناً بخمسين فى المائة (٥٠٪)، وأحياناً بمائة فى المائة (١٠٠٪)، وبأضعاف مضاعفة.

وقد أشار القرآن إلى قضيّة لا أظنّها ذكرت عبثاً: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦١]. لعلّنا نستطيع أن نأتى ببذرة تنتج سبع سنابل، كلّ هذا ممكن.

ينبغى مضاعفة الإنتاج، وزيادة العمل الذى أهمله المسلمون، وطالما قلت لكم: للأسف أننا أقلّ الأمم عملاً وإنتاجاً للحياة، مع أن العمل عبادة لله فى ديننا،

وضرب من الجهاد فى سبيل الله، ولهذا قرنهما القرآن معاً: ﴿ **وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله** ﴾[المزمّل: ٢٠].

ينبغى تنمية الإنتاج كمّاً ونوعا.

٢- ثمّ بعد ذلك ترشيد الاستهلاك: قد يحسن الناس الإنتاج ولكنّهم يسيئون الاستهلاك، يستهلكون استهلاكاً مسرفاً، والله تعالى لا يحب المسرفين: ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾[الأعراف: ٣١].

هناك من الناس من يسرف فى استهلاكه، يستهلك بغير حاجة، يستهلك أكثر من اللازم، يرمى من الطعام ما فضل عنه.

تعلمون ما يحدث فى بلادنا هذه.. بلاد الخليج، تصنع الولائم، ويذبح الناس الذبائح، ويأكل الناس القليل، ثمّ يرمون بعد ذلك الكثير الكثير فى براميل القمامة، وهناك من يتمنّى لقمة يأكلها.

هناك فى عالمنا الإسلامى بلاد تئنّ من الجوع أنين الملسوع، ونحن نرمى فى الدرامات بقايا الخراف، ومن الأرز، وممّا لذّ وطاب، والنبى ﷺ يقول فيما رواه مسلم فى صحيحه عن أنس: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما بها من الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان..»(١) لقمة تقع منك لا تتركها، امسحها ونظفها وكُلْها.

كان الناس قديماً إذا سقطت منهم لقمة يأخذونها ويقبلونها، ويقولون: هذه نعمة. كانوا يسمّونه الخبز ونحو ذلك (نعمة)، لأنّهم كانوا يشعرون بفضل الله تبارك وتعالى فيها، الله هو الذى رزقها وما عملته أيديهم ﴿ **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون** ﴾[يس: ٣٣ -٣٥].

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والنّسائى، وابن ماجة، عن جابر وعن أنس رضى الله عنهما، وتتمته: «ولايمسح يده بالمنديل حتى يَلْعقها أو يُلْعقها، فإنه لا يدرى فى أىّ طعامه البركة» قال المناوى: أى الخير الكثير والتغذية والقوة على الطاعة، أهو فيما بقى على الأصابع أو الإناء أو فى اللقمة الساقطة؟ فإن كان فيها فيفوته بفوتها خير كثير، (فيض القدير للمناوى: ١ / ٣٧٦ برقم ٦٨١).

ولذلك يقول: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما بها من الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان..» ويقول أنس - رضى الله عنه -: كان النبى ﷺ يأمرنا أن نَسْلُتَ القصعة نمسحها وننظفها باللعق ولا ندع فيها فضلات، ويقول: «فإنّه لا يدرى فى أىّ طعامه البركة»(١).

بعض الناس الذين لا يفقهون مثل هذه التوجيهات يقول: كيف يلعق الإنسان الصحفة أو يلعق يديه؟! هذا معناه أنك لا تبقى فضلات، بيدك، بالملعقة، بأىّ شيىء، المهم هنا: اغرف على قدر ما تأكل، ولا تدع الباقى يُرمى ويُلقى فى القمامة.

لم تُلقى هذه الفضلات وهناك من هو محتاج إلى اللقمة؟ أليس هذا كفراناً بالنعمة؟ أليس هذا بطراً.

تصوّروا: لو أن كل مسلم يلقى لقمة واحدة فى كلّ وجبة - فضلاً عن أن بعض الناس يلقى نصف طبق أو نحو ذلك فى الوجبة الواحدة - وهناك ألف مليون مسلم يُفترض أنّهم يستمعون إلى محمد ﷺ وينفذون توجيهه، معناه: ثلاثة آلاف مليون لقمة تضيع هدراً وتُلقى فى سلّة الزبالة فى كلّ يوم! فكم يكون هذا فى الشهر؟ وكم يكون هذا فى السنة؟ وإذا تصوّرنا أنّ الأمر أكثر من لقمة ولقيمات، فكم تكون الخسارة؟

هذه توجيهات تعلّم الناس كيف يرشّدون الاستهلاك؟ وكيف يبتعدون عن الإسراف؟ وكيف يأكلون ما يحتاجون إليه ويوفرون مالا يحتاجون إليه؟

إذا كنت صاحب ملايين فليس معنى هذا أنك مالكُ المال. المالك الحقيقى هو (الله) وأنت مستخلفٌ فيه، فلا يجوز لك أن تتصرّف فيما لم يأذن لك به مالك المال الحقيقى، وهو (الله)، لا يجوز أن تبعثر مالك ذات اليمين وذات الشمال فى أشياء كماليّة وأشياء أحياناً محرّمة، وأنتم تعلمون كيف ينفق المال فى المحرّمات، وهناك من يحتاجون إلى اللقمة وإلى الشربة.

---

(١) جزء من حديث أنس الذى تقدّم تخريجه قبل قليل.

OBEIKAN.COM

علّمنا النبى ﷺ ألاّ نبالغ فى الأكل إذا أكلنا وقال: «المؤمن يأكل فى معًى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»[1]. ورأى رجلاً ملىء البطن سميناً فغمزه وقال: «لو كان هذا فى غير هذا لكان خيراً لك»[2]. وقال عمر رضى اللّه عنه للنّاس منبّهاً على قضيّة مهمّة: (أو كلّما اشتهيتم اشتريتم)؟! مايريد أحدكم أن يطوى بطنه لابن عمه وجاره! ألا يفطم الإنسان نفسه عن شىء يشتهيه يوما؟ هذا لون من التربية.

٣ – عدالة التوزيع: إنّ بعض الناس يأكلون إلى حدّ أنهّم يشكون من كثرة التُخمة، وآخرون يجوعون إلى حدّ أنهّم يشكون من عضّة الجوع.

أشاهد فى (التلفزيون) إعلانات تقول للإنسان الذى أكل وأكل وأكل أنواعاً ومشتهيات من الأطعمة، ثمّ تقول له: عندك الدواء الفلانى اشربه حتى يخفّف عنك الزحمة التى فى معدتك! طيّب لماذا تأكل أكثر ممّا تطيق ثمّ تشرب من الأدوية ما تهضم به؟ كان أولي بهذه الزيادة إنسان آخر جائع، يحتاج إلى ما يمسك رمقه.

نحن فى حاجة إلى عدالة التوزيع بين الناس بعضهم وبعض.

من هنا فرض الإسلام الزكاة على المسلمين تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم. ومن هنا فرض الإسلام أشياء أخرى مثل زكاة الفطر، وهى زكاة على كلّ رأس، فى مناسبة العيد، لتعمّ الفرحة الجميع، وقد فرضها النبى ﷺ من الطعام الذى فى وقته، حتى تعود على الجائعين، فيأكلوا صاعاً من تمر أو من زبيب أو من بُر أو من شعير أو من أقط أو من نحو ذلك، كما قال ابن عباس

---

(١) متفق عليه عن ابن عمر وعن ابى هريرة، ورواه مسلم عن جابر وعن أبى موسى صحيح الجامع الصغير (٦٦٦٠) القرضاوى

(٢) قال المنذرى فى الترغيب والترهيب: رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى بإسناد جيد، والحاكم والبيهقى (جعده) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورواه احمد بلفظ آخر، ورجال الجميع رجال الصحيح، غير اسرائيل الجشمى وهو ثقة (٥ / ٣١) ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى (٤ / ١٢٢) وتعليقنا عليه. (القرضاوى).

رضى اللّه عنهما: «فرض رسول اللّه ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين»[1].

وشرع الأضحية فى عيد الأضحى ليأكل الفقراء اللحم، وشرع العقيقة عند ميلاد الطفل ليأكل الفقراء اللحم أيضا.

شرع هذا، وشرع الكفّارة فى أمور كثيرة، منها الحنث فى اليمين ﴿ **فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** [ولم يعد هناك رقاب تُحرر أو تعتق] **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ** ﴾ [المائدة: ٨٩].

الإسلام ينتهز الفرصة حتى لا يدع الجائعين دون طعام.

فى رمضان من عجز عن الصيام لشيخوخة، أو مرض مزمن، أو حَبَل، أو إرضاع، أو نحو ذلك، فإنّه يفطر ويفدى، أى يطعم عن كلّ يوم مسكينا ﴿ **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ** ﴾ [البقرة: ١٨٤] من زاد على أكثر من مسكين فهو خير له.

ينتهز الإسلام الفرصة لكى لا يدع الناس جائعين.

ومن أفضل ما حثّ عليه النبى ﷺ ممّا يدخل الإنسان به الجنان: إطعام الطعام، فهو من أعظم القربات إلى اللّه، وخاصّة فى أيّام المسغبة والمجاعة والأزمة: ﴿ **فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ** [من الأقارب] **أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** [يده ملصقة بالتراب لا يجد شيئاً يملكه] **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾

---

(١) رواه أبو داود وسكت عليه هو والمنذرى، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخارى، ووافقه الذهبى، عن ابن عباس رضى الله عنهما، وتتمته: «فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أدّاها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٣١ برقم ٥٧١) وانظر أيضاً (فقه الزكاة للقرضاوى: ٢/ ٩٢١ - ٩٢٢) ط. مؤسّسة الرسالة ببيروت.

[البلد ١١-١٧]. وأثنى الله على الأبرار من عباده فقال: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴾ [الانسان: ٨، ٩].

هذا من أفضل القربات إلى اللّه تبارك وتعالى.

ومن أعظم الذنوب أن يشبع بعض الناس وآخرون بجوارهم جائعون. يقول النبى عليه الصلاة والسلام: «ما آمن بى من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم» [١]. وفى رواية: «ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع» [٢]، ليس من هذه الأمّة صاحب القلب القاسى الذى لا يحنو على هؤلاء الجياع والضعفاء، لا يحنو بنفسه ولا يحثّ غيره: ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ [الماعون: ١- ٣] وقد ذم الله المجتمع الجاهلى بقوله: ﴿ **كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨]

مطلوب من الإنسان أن يطعم المسكين وأن يحضّ غيره على طعامه، وإلاّ كان مصيره مع أولئك الذين ذكرهم القرآن مع أهل سقر: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ** ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٤]، أضعنا حقّ اللّه بإضاعة الصلاة، وأضعنا حقّ عباده بإضاعة الزكاة وعدم إسعاف المساكين والمضطرين.

يا أيها الإخوة المسلمون: إنّ الإسلام يكره أن يعيش الإنسان فى الجوع، بل يستحثّ الناس على أن يكونوا أسرة واحدة، وأن يكونوا كاليد الواحدة يعطف

---

(١) رواه الطبرانى، والبزّار، عن أنس رضى الله عنه، وحسن المنذرى إسناده، وكذا قال الهيثمى: إسناد البزار حسن (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٦٩١ برقم ١٥٣٠).

(٢) رواه الطبرانى، وأبو يعلى، ورواته ثقات، ونحوه قال الهيثمى، عن ابن عباس رضى الله عنهما (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٦٩١ برقم ١٥٣١).

بعضهم على بعض، يأخذ القوىّ بيد الضعيف، يصبّ الغنى على الفقير من مال اللّه الذى آتاه.

هذه هى العناصر الثلاثة التى بها نواجه أزمة الجوع ومحنة الجائعين:

١ – العمل على تنمية الإنتاج.

٢ – ترشيد الاستهلاك.

٣ – عدالة التوزيع.

لو قمنا بهذا كما أمرنا اللّه تبارك وتعالى لم نشْكُ من الجوع. صحيح أننّا نحن المسلمين لسنا وحدنا فى العالم، هناك بلاد كثيرة تملك الكثير، وعليها أيضا واجب، فطالما امتصّت دماء هذه الأوطان، وطالما أكلت خيراتها، وطالما استنزفت أرزاقها، وكوّنت لأنفسها ثروات طائلة هى من عرق هذه الشعوب، فعليها أيضاً واجب لإسعاف هذه البلاد.

هناك بلاد تنتج الإنتاج العريض من الأغذية وغيرها، ثمّ تلقيه فى المحيط. . فى البحر، حتى لا ترخص الأسعار، وكان يمكنها أن تسعف به بعض الجياع فى العالم.

إنّ بعض ما ينفق على التسليح النووى وغير النووى، لو أنفق ثلثه أوربعه، ما كان فى العالم جائع.

إن كثيرا من الأموال التى تنفق فى غير محلّها، لو أنفقت فى موضعها لكفت أولئك الجياع من الناس.

إنّ الناس لو رجعوا إلى اللّه وطرقوا بابه مستغفرين لأرسل السماء عليهم مدرارا، وبارك اللّه لهم فى أموالهم، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، وصدق اللّه العظيم: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وليس الإيمان مجرّد أن تقول (لا إله إلاّ اللّه

محمد رسول الله) بلسانك، أو تسبح وتهلّل وتكبرّ، الإيمان دافع إلى العمل أيضاً، الإيمان هو التقوى، واستقامة على أمر الله، ورعاية لسنن الله.

لو فعلنا هذا لكنّا أغنى الأمم، وهكذا كنّا فى وقت من الأوقات، حتى بحث عمر بن عبد العزيز وبحث ولاته عن فقير يستحق الزكاة فلم يجدوا، فقد عمَّ الرخاء الجميع، وعمّ عدل الإسلام الجميع، فلم يعد فى الناس جائع ولا فقير.

لعلّنا نرجع إلى ربنا ونقرع بابه تائبين مستغفرين قائلين ما قال أبونا آدم وأمّنا حواء: ﴿**قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣].

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

OBEIKAN.COM

(١٠) اليوم العالمى للطفولة[١]

الخطبة الأولى :

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

احتفل العالم خلال هذا الأسبوع بـ (يوم الطفل العالمى) . وحق للعالم أن يحتفل بالطفل، ويوليه من الاهتمام ما هو أهله . الطفل هذا المخلوق الصغير الضعيف، أصبح العالم يحتفل به، وتُعلن حقوقه فى مواثيق دوليّة، وتقوم مؤسّسات من أجل هذا الطفل .

ونحن المسلمين أولى النّاس برعاية الطفولة، وأولى الناس برعاية حقّ الأطفال . فلم يوجد دين كالإسلام عُنى بهذا المخلوق الصغير .

من قرأ الفقه الإسلامى يرى هذه العناية فى أبواب شتّى : فى باب العقيقة، فى باب الحضانة، فى باب الرضاع، فى باب الختان، فى أبواب شتىّ من فقه الإسلام نجد أحكاماً كثيرة تتعلق بأمر الصبى، وأمر الطفل وأمر الطفولة . ومن قرأ القرآن والسنة علم مبلغ عنايتهما بهذا المخلوق الضعيف .

من أجل ذلك كان علينا أن نُعنى بأطفالنا، فهم ثروة، بل هم أعظم ثروة . الثروة ليست فى الفضة والذهب، والثروة ليست فى النّفط والغاز، الثروة الحقيقيّة هى الثروة الإنسانيّة .

الإنسان هو أغلى الثروات وأعظمها، وكل ما فى هذا الكون قد خلق وسخّر للإنسان، فإذا أهتممنا بالمادة وأهملنا الإنسان، فقد عكسنا الأوضاع وقلبنا الحقائق، وأوّل اهتمامنا بالإنسان يجب أن يكون بالطفل .

إنّ الإسلام من أجل العناية بالطفولة حرّم السِّفاح وشرع النكاح، حرّم الزنا واعتبره فاحشة ومقتاً وساء سبيلا، وأوجب فيه العقوبة وشدّد فيه، وفتح الأبواب لتقوم الأسرة الصالحة .

لماذا فعل الإسلام ذلك؟

---

(١) هواليوم الثانى من أكتوبر من كلّ عام ميلادى .

OBEIKAN.COM

لأن الإنسان دون الكائنات الحية الأخرى، يحتاج إلى أطول طفولة، غير طفولة كل الحيوانات والطيور. وحاجته إلى هذه الطفولة الطويلة مرتبطة بحاجته الى مزيد رعاية وعناية من الأبوين والأسرة، فلهذا كان لابدّ أن يعيش الطفل فى جوّ أسرى وفى مناخ صحى.

الطفل فى حاجة إلى أن يتربى فى ظلّ هذه الحضانة، فى ظلّ أبوّة راعية، وأمومة حانية، وأخوّة عاطفة، وعصبة مانعة، ورحم موصولة، يحتاج إلى هذا كلّه، وهذا لايتمّ إلاّ بالزواج وإلاّ بالأسرة.

لو تُرك الناس لشهواتهم يسافحون كالبهائم حيثما شاءت لهم رغباتهم وملذّاتهم، ما وجد الطفل له أباً يعرفه، ما وجد له نسباً، ما وجد له مناخاً صحيّاً ينشأ فيه ويَدْرُج.

كان لا بدّ من هذا العش الإنسانى (عُشّ الأسرة)، ومن أجل ذلك شرع الزواج، وكان التشديد فى تحريم الزنا، حتى ينشأ الطفل نشأة صحية.

من أجل هذا جعل الإسلام الولد للفراش، حينما تكون زوجيّة صحيحة قائمة فالولد يُنسب إلى أبيه.. إلى الزوج.. إلى فراش الزوجيّة، ولا يُشك فى ذلك حفظاً لنسبه. حتى بالغ بعض الفقهاء فأثبت النسب ولو كان بين الأبوين مسافات ومسافات، حفظاً لحق الولد فى النسب، وقال الفقه: لو أنّ رجلاً استلحق طفلا به، وادّعى نسبه يجب أن يُصدّق، ما دام يولد مثله لمثله، وما دام لم يكذبه أحد. وإذا كان الطفل يمكن أن يكون له كلام اشترطوا أن يقرّ بذلك ويعترف به. كلّ هذا لحفظ الطفل ولحفظ نسب الطفل.

أقرّ الإسلام الزواج وطلبه وحثّ عليه، من أجل العناية بالطفل.

من شرّ ما تُصاب به الأمم أن ينتشر فيها الزنا والفاحشة، ويولد أولاد لا يعرفون لهم آباء، ولا يعرفون له أسراً، إنّها مصيبة.

ومن أجل هذا عرف الفقه الإسلامى باباً يسمّى: (باب اللقيط) اللقيط هو: الطفل الذى يوجد فى طريق، أوعند مسجد، أو فى سوق، لا يُعرف له نسب، ولا يعرف له أب ولا أمّ، أو يشرد عن أهله، أو يضلّ عنهم، أو يخطف منهم، دون سنّ التمييز، ولا يعرف اسمه ولا يعرف أهله. ومثلهم الأطفال الذين يموت أهلهم فى الحروب، ولا يعرفون أبناء من هم؟

هذا النوع من الأطفال لم يهمله الإسلام، بل وضع له أحكاماً خاصّة.

حينما جيء إلى عمر بن الخطاب بطفل من هذا النوع قال للرجل الذى التقطه: (اذهب به، لك ولاؤه، وعلينا نفقته)، أى نفقته على المجتمع.. على الدولة. إذا لم يقم الرجل بالنفقة على الذى التقطه – قد لا يكون موسراً – فإنّ على المجتمع ممثّلاً فى الدولة، وفى وليّ الأمر: أن يتكفّل بهذا الإنسان، حتى ولو شكّ أنه جاء من حرام، فإنّه لاذنب له، ومن حقه أن يعيش، ومن حقه أن يُرعى، ومن حقه أن يربىّ تربية صالحة.

لقد اهتم الإسلام بالطفولة قبل أن توجد، حين أمر الآباء أو الرجال أن يتخيروا لنطفهم إذا تزوجوا. كما أمر النساء وأولياءهن أن يختاروا من يرضون دينه وخلقه من الرجال.

واهتمّ الإسلام بالطفولة بعد أن يولد الطفل.

بعد أن يولد الطفل يطلب الإسلام من الأب أن يؤذّن فى أذنه، ليكون أول ما يسمعه كلمة التوحيد (شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله). إنّه لا يعى، ولكن لهذه الكلمة سرا، كما أن لها دلالة وإيحاء، حتى إذا نما وميّز، قلنا له: إنّ أوّل كلمة سمعتها كانت كلمة التوحيد. كما أن آخر كلمة يسمعها الإنسان.. وهو على فراش الموت – هى كلمة التوحيد. فبالتوحيد يستقبل الحياة وبالتوحيد يودّع الحياة.

وفى اليوم السابع – أو الرابع عشر أو الحادى والعشرين[1] أو ما تيسّر له بعد ذلك – يُعقّ عن المولود، كما جاء فى الحديث: «عقّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين شاتين يوم السابع»[2] أى ذبح عنهما ذبيحتين، إعلاناً للفرحة

---

(١) روى الطبرانى فى الأوسط والضياء عن بريدة عن النبى ﷺ: العقيقة تذبح لسبع أو لأربع عشرة أو لإحدى وعشرين» قال الهيثمى: ورواه عنه أحمد أيضا، وفيه إسماعيل بن المكى وهو ضعيف لكثرة غلطه ووهمه (فيض القدير: ٤/ ٣٨٢ برقم ٥٦٩٩) ورواه عنه البيهقى أيضا فى (السنن الكبرى: ٩/ ٣٠٣).

(٢) رواه البيهقى فى (السنن الكبرى: ٩/ ٣٠٣).

وروى أيضا: عن رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام (السنن الكبرى: ٨/ ٣٢٤).

بوجودهما، فالطفل - ذكراً أو أنثى - هبة من الله تبارك وتعالى ونعمة منه، يقول الله عز وجل: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾[الشورى: ٤٩، ٥٠].

ولهذا أنكر الإسلام على أهل الجاهلية وأدهم للبنات، واستياءهم بالأنثى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾[النّحل: ٥٨، ٥٩].

لقد كفروا بهذه النعمة، وميّزوا بين الذكر والأنثى، وهل الذكر إلاّ من الأنثى؟! وهل يستطيع الناس أن يعيشوا مالم يكن هناك ذكر وأنثى؟! لولا الأنثى ما كان الذكر، ولولا المرأة ما كان الرجل، ألم يولد النّاس من أمّهات؟!

ولكن هؤلاء اعتدوا على هذا المخلوق الضعيف ووأدوه: ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ** ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، من أجل ماذا؟ خشية أن تزاحمه في لقمته من بعد، من إملاق واقع ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ﴾[الأنعام: ١٥١] أو خشية إملاق وفقر متوقع ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم** ﴾[الإسراء: ٣١] الرازق للكبير وللصغير هو الله.

كان هذا من جناية الجاهلية على الطفولة. جنوا على البنت فجاء الإسلام وأكرمها، وجعل ولادتها نعمة، وبشّر من ابتلى بالبنات - فأدّبهن فأحسن تأديبهّة وصبر عليهّن - بالجنّة(١).

ولهذا رأينا من الشعراء المسلمين بعد ذلك من يقول فى شأن بناته:

لولا بنيّات كزغب القطى ... رددن من بعض إلى بعض
لكان لى مضطرب واسع ... فى الأرض ذات الطول والعرض

---

(١) روى أحمد والبخارى ومسلم والنّسائى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهنّ كُنّ له سِتْراً من النّار» (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٢١ برقم ٨٢٧٨).

OBEIKAN.COM

وإنّمـــــــا أولادنا بـيـنـنـا   أكـبــادنا تمشى على الأرض
لوهبّت الريح على بعـضــهـم   لا مـتنعت عـينى من الغـمض

هذا ما صنعه الإسلام، صنع هذه القلوب بدل تلك القلوب المتحجرة، التى كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة، التى جعلت الأب يقتل بنفسه وبيده ولده وفلذة كبده، ويقتله أسوأ قتلة: بالوأد، بالدّس فى التراب ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النّحل: ٥٩]

وقد شرع الإسلام العقيقة إعلاناً بشكر النعمة، وإعلاناً للفرحة، وإعلاناً بثبوت نسب هذا الطفل، ذكراً كان أو أنثى.

كما أمر النبى ﷺ أن نسمّى أولادنا ونحسن تسميتهم. من حقّ الولد أن يكون له اسم، وأن يكون له اسم حسن، لا يتضرّر به بعد كبره ويتأذّى منه، فبعض الأسماء يتأذّى أصحابها منها. ينبغى للأب إذن أن يحسن تسمية ولده، يسمّيه بأسماء الرسل والأنبياء. وبما حمّد وعبد من الأسماء، يسمّيه بعبد الله.. بعبد الرحمن يسميه بأسماء الصالحين والعلماء والأبطال، وغير ذلك من الأسماء الطيبة، هذا ما ينبغى على الأب أن يفعله.

ثمّ ذكر القرآن قضيّة إرضاع الأمّهات للأولاد، وخصوصاً فى حالة الفراق بين الزوجين، فقد تحاول الأمّ أن تكايد زوجها ومطلّقها فتهمل ولدها منه، لهذا جاء القرآن فى سياق آيات الطلاق ليقول: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾[البقرة: ٢٣٣]، وهذا خبر فى معنى الأمر، فهن مأمورات بإرضاع أولادهن.

كثير من الأمّهات فى عالم اليوم وفى عصرنا هذا يؤثرن أنفسهنّ على أطفالهنّ، تريد المرأة أن تبقى رشيقة البدن كالغزال، بدل أن يتهدّل ثديها وصدرها تحرم طفلها من هذا الغذاء الربانى المعقّم، الذى أنزله الله من صدرها يجرى رزقاً صافياً سائغا لهذا الطفل الضعيف. تحرم الطفل من لبنها ليتغذّى على لبن صناعى، وهيهات أن يسدّ اللبن الصناعى مسدّ اللبن الطبيعى الربانى.

والرضاعة ليست لبنا فقط، إنّه إلصاق الأم طفلها إلى صدرها. أنّه لا يرضع لبناً فقط، إنّه يرضع حناناً وحنواً وعاطفة. هذا الضمّ هو الذى يعطى الأمومة معناها، وهذا هو الذى يعطى للمرأة حق الحضانة دون الرجل.

OBEIKAN.COM

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ امرأة قالت: يارسول الله إنّ ابنى هذا كان بطنى له وعاءً، وثديي له سقاء، وحجرى له حواء، وإنّ أباه طلقنى، وأراد أن ينزعه منّى، فقال رسول الله ﷺ: «أنت أحقّ به مالم تنكحى»(١).

وحينما تنازع عمر بن الخطاب وزوجه أمّ عاصم: ابنه فى عهد أبى بكر رضى الله عنه، وأراد عمر أن ينتزع ابنه من أمّه المطلّقة، فاختصما إلى أبى بكر، فقال أبو بكر: ريحها وفرشاها وحجرها خير له منك! وقال أيضا: الأم ألطف وأعطف، وأرحم وأحنى وأرأف. فلهذا قضى للأم بالحضانة مالم تتزوّج.

ثمّ بعد الأمّ: قرابة الأم مفضلة على قرابة الأب، لأنّها أحنى وأرحم، كلّ هذا عناية بهذا الطفل الضعيف.

القرآن يذكر الرضاع فيقول: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا**﴾[البقرة: ٢٣٣]. لم يدع الأمر لأحد الأبوين هنا، فربّما ملّت المرأة من الإرضاع، وربّما ملّ الأب من دفع الأجرة والنّفقة، فلم يترك لهما الأمر لأحدهما، بل لابدّ أن يتراضيا ويتفقا معاً، ومع التراضى لابدّ من التشاور، أى يتشاورا معا يشاورا أهل المعرفة وأرباب التجربة فى هذا الأمر: هل يحسن بالطفل أن يفطم قبل الحولين أو لا يحسن؟ قد يقولون: يحسن لأن صحته جيدة ونموّه طيب، وقد يقولون: مثله يحتاج إلى رضاع أكثر. كلّ هذا عناية من الله بالطفل.

يقول الإمام الفخر الرازى: فانظر إلى إحسان الله تعالى بهذا الطفل الصغير كم شرط فى جواز فطامه من الشرائط دفعاً للمضارّ عنه، ثمّ عند اجتماع كل هذه الشرائط لم يصرّح بالإذن بل قال: «لاجناح عليكم»، وهذا يدلّ على أنّ الإنسان كلّما كان أكثر ضعفاً كانت رحمة الله معه أكثر وعنايته به أشد (٢).

---

(١) أخرجه أحمد، وأبو داود، وإسناده حسن (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ٩/٣٣٣ برقم ٢٣٩٩)، ورواه البيهقى فى (السنن الكبرى: ٨/٤-٥).

(٢) (انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للرازى: م٣، ج٦، ص١٠٦. ط (١) دار الكتب العلمية ببيروت. ١٤١١هـ/ ١٩٩٠).

الله أرأف بهذا المخلوق من الأبوين، فإنّ الله أرأف بعباده من الوالده بولدها.

الرضاع والحضانة والفطام والنفقة، كلّ هذا مطلوب، لأنّه جزء من الرعاية لهذا المخلوق.

يجب رعاية الأطفال مادياً بجسن التغذية، وصحياً بمراعاة ما تطلبه الصحة العامة، وما يطلبه الطب الوقائي في عصرنا. أصبح في عصرنا هناك أمور كثيرة ينبغي أن تراعى لحفظ صحة الطفل مثل: التطعيمات التي تُطلب في مواعيد محددة.

الواجب الشرعي يحتم على الآباء والأمهّات ألاّ يهملوا ذلك، فقد تهمل طفلك فيترتب عليه أن يُصاب بشلل الأطفال مثلا، فتكون قد جنيت عليه جناية كبرى. كان يمكنك بمقتضى قانون الأسباب والمسببات أن تمنع ذلك، بأن تذهب به إلى دار رعاية الطفل أو المستشفى أو المؤسسة أو المركز الصحي، ليتناول هذا الشيء البسيط في صغره، لتمنعه من أمراض معضلة في كبره.

كلّ هذه حقوق الطفل: الرعاية الصحية، والرعاية المادية، والرعاية العاطفيّة.

الأطفال – كما قلنا – ثروة بشريّة، ينبغي أن نحافظ على هذه الثروة، ولا نبدّدها. والأطفال كذلك نعمة من الله تبارك وتعالى، فينبغي أن نشكر ربنا على هذه النعمة.

الأنبياء طلبوا من الله سبحانه أن يرزقهم الذرية:

إبراهيم عليه السلام بعد أن بلغ من الكبر ما بلغ قال: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ﴾ [الصّافّات: ١٠٠– ١٠١] وقال: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [ابراهيم: ٣٩] وزكريا عليه السلام: ﴿ **نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي**

﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم: ٣-٦].

هكذا نرى رسل الله طلبوا الذرّيّة. الذرية نعمة فينبغى أن تُشكر.

وكيف تشكر هذه النّعمة؟

أنّها تشكر برعايتها وتأديبها وحسن تربيتها من الصغر، فمن لم يتعلم فى صغره لم يتقدّم فى كبره، والتأديب فى الصغر كالنقش على الحجر.

لابدّ من هذا.

الأطفال ثروة ينبغى أن نحافظ عليها، ونعمة يجب أن تشكر، وهم كذلك: أمانة يجب أن ترعى. هم ودائع استودعنا الله إياها، فيجب أن نحافظ على الأمانة: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته: فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤولة عن رعيتها...»(١)

أين هذا مّما نجده اليوم من الآباء الذين كأنّ كلّ مهمّتهم أن ينجبوا أطفالاً ثمّ هم لا يسألون عنهم بعد ذلك: ماذا يحدث لهم؟ هل هم مرضى أو أصحاء؟ هل هم أقوياء أو ضعفاء؟ أذهبوا إلى المدرسة أم لم يذهبوا؟ أنجحوا أم رسبوا؟ أستقاموا أم انحرفوا؟ من أصدقاؤهم؟ من المحيطون بهم؟

بعض الآباء لا يسألون عن شىء من ذلك. وبعض الأمهّات لا يُعنين بأطفالهن، لكنهن يسلمونهنّ إلى الخادمة أو المربية الهندية أو الفلبينيّة، أو ما شئت من تلك الجنسيّات، من قوم غير قومنا، ودين غير ديننا، ولغة غير لغتنا، وأعراف غير أعرافنا، ومفاهيم غير مفاهيمنا، وتقاليد غير تقاليدنا. ومع هذا نسلّم إليهنّ أغلى شىء عندنا: أطفالنا ولا ندرى كيف يتعاملن معهم؟

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى، عن ابن عمر رضى الله عنهما. وتتمته: «والخادم راع فى مال سيّده وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته» (فيض القدير للمناوى: ٥/٣٨ برقم ٦٣٧٠).

الأمّ مشغولة، بأىّ شىء مشغولة،؟ والأب مشغول أين المسئولية؟ أين رعاية الأمانة؟ هذا هو اليتيم الحقيقى.

رحم الله أمير الشعراء (شوقى) حينما قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هَمّ الحياة وخلّفاه صغيرا

إنّ اليتيم هو الذى تلقى له أمّا تخلّت أوأباً مشغولاً

من تخلّت أمّه، أو شغل أبوه عنه، فهذا هو اليتيم حقا. لأنّ اليتيم الذى مات أبوه قد يرعاه عمّه أو قريبه، ولكنْ هذا أبوه حىّ وأمّه حية تسعى فمن يرعاه؟

إنّها مسؤوليّة كبيرة أيّها الإخوة والأخوات.

إنّ كثيراً من الآباء والأمهات يسيئون إلى أطفالهم بالقدوة السيّئة، وخير ما يُربّى الأطفال: الأسوة الحسنة. فبم يتأسّى الطفل إذا وجد أباه يدخّن السيجارة؟ بم يتأسّى الطفل إذا وجد أباه لا يصلّى؟ بم يتأسّى الطفل إذا وجد أباه يشرب المسكرات ويرتكب المنكرات؟ بم يتأسّى الطفل إذا وجد أمه أو وجدت أمها تخرج كاسية عارية مميلة مائلة؟ بم يتأسّى الولد أو تتأسّى البنت إذا عاشت فى أسرة لا تحلّ ما أحلّ الله، ولا تحرّم ما حرّم الله، ولا تعظّم شعائر الله، ولا تلتزم بأمر الله ونهى الله؟

إنهّا قدوة سيّئة.

رحم الله حافظ إبراهيم حينما قال:

الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيّب الأعراق

التعليم الأوّل يبدأ فى الأسرة، يبدأ من الأب والأم. فهل يؤدى الأب والأم وظيفتهما؟

الأطفال فى حاجة إلى رعاية دائمة، إلى تربية مستمرة، تربية للجسم

بحسن الغذاء، وللعقل بالمعرفة الحسنة، وللقلب بالعواطف النبيلة. يجب أن يُغرس هذا منذ نعومة الأظفار.

ولهذا علّمنا الإسلام أن نأمر أولادنا بالصلاة لسبع، وأن نضربهم عليها لعشر [1]، حتى ينشأوا على الخير والطاعة منذ صغرهم، ومنذ رخاوة عددهم، فمن شبّ على شيئ شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.

وينفع الأدب الأحداث فى صغر ... وليس ينفع عند الشيبة الأدب

إنّ الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ... ولن تلين إذا قوّمتها الخشب

بعض الآباء والأمّهات يفسدون أطفالهم إمّا بالتدليل المفرط، وإمّا بالقسوة المفرطة.

التدليل أن يترك الحبل على الغارب للطفل يفعل ما يشاء، ولا يُرفض له طلب، أيّما رغبة أبداها تجاب فى الحال. الطفل هو الملك الذى يأمر وينهى! هذا ليس حباً للطفل، بل هو إفساد له.

الطفل على صغره – قابل للفهم إذا أحسن إفهامه، وللإقناع إذا أحسن إقناعه فينبغى أن يعرف أنّ هناك ما يُطلب ويقبل، وهناك مالا يُقبل، فينبغى أن نفهّمه ونقنعه. إذا عوّدت طفلك من الصغر أنّ الأمور بالإقناع، وانّ هناك شيئاً لائقاً وشيئاً غير لائق وشيئاً يجوز وشيئاً لا يجوز، نشأ على ذلك. أمّا أن يستخدم الطفل التهديد والصراخ والبكاء، فترضخ له طائعاً أو غير طائع، فهذا ليس من حسن التربية.

التربية ليست التدليل، وليست هى القسوة أيضاً.

بعض الناس قساة على أطفالهم، يعاملونهم بفظاظة وغلظة، كأنما قدت قلوبهم من حجر، لا نحن نريد من الأب الوجه الضاحك، والثغر الباسم، والقلب

---

(١) كما بيّن ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الآتى فى ص (١٥٠) والذى رواه أحمد وأبو داود والحاكم.

الحانى، الذى يعامل هذا الكائن الصغير باعتباره كائنًا حياً، شاعراً حسّاساً، يفهم ويتذوّق.

لا تظنّوا أن هذا الطفل لا يفهم، لا، إنّ له عقلاً غريزياً ألهمه الله إياّه منذ يولد. ولهذا كان السلف رضوان الله عليهم يسوّون بين أطفالهم حتى فى القُبُلات، إذا قبّل أحد أطفاله قبّل الآخر، لأنّ الطفل إذا قبّلت أخاه الأكبر منه أو الأصغر منه أو المساوى له من امرأة أخرى أو نحو ذلك، وأهملته، أصبح فى قلبه شيىء من الغيرة والحسد والضيق.

وقد ذكر لنا القرآن قصّة يعقوب مع أولاده، وكيف أدّى حبه الزائد ليوسف إلى حسد إخوته، حتى كادوا كيدهم ليقتلوه، وقالوا: ﴿ **اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ** ﴾

[يوسف: ٩]

الطفل فى حاجة إلى أن يشعر بكيانه منذ يولد، ولهذا يجب أن يُلاعب، وأن تلعب أنت معه أيها الأب. جاء فى المأثور: « من كان له صبىّ فليتصاب له »[١] يعامله معاملة الصبى، ينزل إلى مستواه. وهل رأيتم أفضل من سيد الخلق محمد ﷺ وكيف كان يداعب الأطفال ويلاعبهم؟

كان إذا مرّ على الصبيان سلّم عليهم[٢].

ودخل على أبى طلحة، وكان عنده ابن صغير، فقال له: « يا أبا عمير ما فعل النغير » ؟![٣] النغير طائر كان يلعب به ثمّ مات، فهو كان حزيناً عليه، فكان يداعبه، ويكنّى الطفل الصغير بهذه التكنية: « ياأبا عمير ».

---

(١) ومعناه كما قال المناوى: أى من كان له ولد صغير ذكراً أو أنثى فليتصابى له بلطف ولين فى القول والفعل ويفرحه ليسرّه. رواه ابن عساكر فى تاريخه من حديث أبى سفيان القتبى عن معاوية الخليفة، قال أبو سفيان: دخلت على معاوية وهو مستلق علي ظهره وعلى صدره صبى أو صبية تناغيه فقلت: أمط هذا عنك يا أمير المؤمنين، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فذكره. وفيه محمد بن عاصم قال الذهبى فى الضعفاء: مجهول بيضّ له أبو حاتم. ورواه أيضا الديلمى. انظر (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٢٠٩ برقم ٨٩٧٥).

(٢) رواه البخارى عن أنس، كما فى صحيح الجامع الصغير (٥٠١٤) (القرضاوى).

(٣) رواه البخارى وغيره عن أنس، كما فى صحيح الجامع الصغير (٧٨٣٠) (القرضاوى).

وقصصه مع أولاد بناته معروفة مشهورة. فقد كان يصلى، وهو حامل أمامة بنت ابنته زينب، فإذا ركع وضعها، وإذا قام حملها [١] وكان الحسن أو الحسين يركب على ظهره وهو يصلى فيطيل السجود، كما حدث مرة، حتى ظنّ الصحابة الظنون وقالوا: ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك! قال: كل ذلك لم يكن، لكن ابنى ارتحلنى، فكرهت أن أعجله حتى ليقضى حاجته»[٢]

رُوى أن أحد الصحابة دخل عليه وعنده الحسن والحسين، وهما يركبان ظهره ﷺ، فقال الصحابى: نعم المركب ركبتما، فقال ﷺ: «ونعم الفارسان هما» [٣] !جعل من نفسه جملاً وأركبهما فوق ظهره فى البيت، يلاعبهما، وليس هذا عيبا.

العيب أن تدّعى الكبرياء، وأن تكون جامداً كالصخر، ولا تعقل أنّ هؤلاء الأطفال فى حاجة إلى مداعبة ورعاية. ليس كل شىء: أن تغذيهم وتكسوهم وتعطيهم من الأموال ماقد يفسدهم، لا، إنّ عاطفة الأبّوة أعز وأغلى وأهم من فلوسك وأموالك ودراهمك وريالاتك ودولاراتك.

الأولاد فى حاجة إلى هذه الرعاية، فى حاجة إلى هذه التربية، وإلى هذا التأديب المعتدل بين القسوة وبين التدليل.

دخل أحد زعماء الأعراب على النبى ﷺ فوجده يقبّل الحسن أو الحسين، فقال إن لى عشرة من الولد، ما قبلت أحدا منهم قط. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يُرحم» [٤] وجاء أعرابى آخر إلى رسول الله ﷺ، فقال: «إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم! كأنه يعتبر ذلك مما لا يليق بالرجل أن

---

(١) حديث متفق عليه عن أبى قتادة. انظر: نيل الأوطار للشوكانى جـ٢ / ٢٢ طبعة دار الجيل – ببيروت. (القرضاوى).

(٢) رواه أحمد فى المسند من حديث شداد بن الهاد (٣ / ٤٩٣، ٤٩٤) وكذا رواه النسائى. (القرضاوى).

(٣) أخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: رأيت الحسن والحسين رضى الله عنهما على عاتقى النبى ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبى ﷺ: «ونعم الفارسان هما» كذا فى الكنز (٧ / ١٠٦) والمجمع (٩ / ١٨٢) ورجاله رجال الصحيح. وانظر: (حياة الصحابة) للكاندهلوى (٢ / ٦٨٩).

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة، كما فى اللؤلؤ والمرجان (١٤٩٧).

يفعله!! فقال ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك»؟![1] يعنى: ماذا أملك لك؟ إذا كان الإنسان لا يقبّل ولده فأىّ رحمة فى قلبه؟!

الإسلام يريد القلب الرحيم فى معاملة هؤلاء الأطفال.

ومن أجل ذلك جاءت العناية باليتامى أكثر من غيرهم، لأنّهم طفال فقدوا الآباء الحانين، فقدوا من يشد أزرهم، ويحمى ظهرهم، فلهذا اشتدت عناية القرآن والسنّة باليتامى: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ﴾ [الضحى -٩]، ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ** ﴾ [الماعون: ١,٢] أى يدفعه بعنف ويقهره، «. . اتقوا الله فى الضعيفين: المرأة الأرملة، والصبى اليتيم»[2]. وفى الحديث الصحيح: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين»[3] وأشار بأصبعه: السبابة والوسطى.

جاء الإسلام يُعنى بالطفولة أشدّ العناية، ليس هناك دين عُنى بالطفولة كما عُنى الإسلام، فعلينا أن نعنى بأطفالنا منذ يولدون، ونسير معهم يوماً بيوم ومرحلة مرحلة. قال بعض السلف.: لاعب ابنك سبعا، وأدّبه سبعاً، وآخه سبعا، ثمّ ألق حبله على غاربه.

ليس هذا حديث مرفوعاً، ولكنّه حكمة مأثورة.

«لاعب ابنك سبعا»: أى السبع السنوات الأولى يغلب عليها طبيعة الملاعبة، الطفل عنده طاقة، والله سبحانه وتعالى حبّب إليه اللعب فطرة منه، حتى يستطيع أن يستثمر طاقته فى هذا اللعب، فلا تقف ضده، دعه يلعب،

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة المصدر السابق (١٤٩٦). (القرضاوى).

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان، عن أنس رضى الله عنه، وفيه بشر بن منصور الخيّاط أورده الذهبى فى المتروكين وقال: هو مجهول قبل المائتين. وأوّله: «اتقوا الله فى الصلاة (ثلاثاً)، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم (مرّتين)..» وهى من أواخر ما أوصى به ﷺ حين حضرته الوفاة.
انظر: (فيض القدير للمناوى: ١/١٢٨ برقم ١٢٧).

(٣) رواه البخارى وغيره عن سهل بن سعد. كما فى صحيح الجامع الصغير (١٥١٥) (القرضاوى).

وأتح له الفرصة ليلعب، وهيىء له الوسائل ليلعب وفى عصرنا أنواع كثيرة من اللعب، وجهّه إلى أن يلعب اللعب الصحيح، وألاّ يعتدى على غيره إذا لعب، وألاّ يكون أنانياً فى كلّ شىء، راقبه فى ذلك كلّه. وحاول أن تشاركه فى لعبه ما استطعت.

«وأدّبه سبعا»: أى فى السبعة التالية، ليس معنى هذا أنّ السبعة الأولى ليس فيها تأديب، لا، ولكن يغلب عليها - كما قلنا - الملاعبة. وكذلك السبعة الثانية ليس معناها انّه ليس فيها لعب، بل فيها، ولكن بعد أن يبلغ الطفل سبع سنين بدأ يعقل ويعى ويتفتح عقله ووجدانه، فأدّبه وعلمه ولذا جاء التوجيه النبوى الكريم: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين. .»[1]، فعلمه الصلاة ولقنه الأشياء الطيبة، واجلس معه، وارو له القصص الحسنه قصص العلماء والأبطال، كما كان الصحابة يفعلون. سعد بن أبى وقاص يقول: «كنّا نروّى أبناءنا مغازى رسول الله ﷺ كما نحفظهم السورة من القرآن». أى يروون لهم ماذا وقع فى بدر وأحد والخندق وحنين والطائف وفتح مكة وخيبر وغيرها، يروون لهم قصص البطولة حتى تنطبع فى نفوسهم وتنغرس فى أعماق قلوبهم، فينشأ الواحد منهم شاباً قوياً لا يخاف الموت، ولا يهاب الشدائد.

كثير من الأمّهات يخوّفن أطفالهنّ من الصغر، يخوّفن أطفالهنّ بالعفريت والجّنى أو الغول أو البعبع أو غير ذلك. وهذا كلّه له تأثير سيىّء، لا ينبغى أن نخوّف أولادنا بشىء من هذه الخزعبلات.

إنّنا فى حاجة إلى تربية حسنة، ليس فيها التدليل وليس فيها القهر الشديد الذى يجعل من الأولاد عبيدا، ونحن نريد منهم أن يكونوا سادة أحراراً.

الطفل نعمة وثروة وأمانة، فينبغى أن نحافظ عليه. ولا نفرط فيه.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى عنهما، قال فى الرياض بعد عزوه لأبى داود: إسناده حسن، ورمز له السيوطى بالصحة فى الجامع الصغير. وتتمته: «واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع، وإذا زوّج أحدكم خادمه عبده أو أجيره فلا ينظر إلى مادون السُرّة وفوق الركبة». انظر (فيض القدير للمناوى: ٥ / ٥٢١ برقم ٨١٧٤).

هذا ما جاء به ديننا العظيم.

الحضارة الحديثة اهتمّت بالأطفال فى جوانب كثيرة، واهتمّت بالمعوّقين الذين ولدوا عمياناً أو صمّاً أو بكما أو ذوى عاهات معيّنة - نحن أولى منهم بأن نرعى هؤلاء الضعاف، فإنّ الضعيف أولى بالرحمة والعناية، وهذا ما جاء به ديننا العظيم الذى دعا الى الرحمة بكل ضعيف - ولكن الحضارة الحديثة أيضاً جاءت بأشياء أخرى:

١ - الأولاد غير الشرعيّين، نتيجة انتشار الفواحش، ماظهر منها وما بطن.

٢ - بيع الأطفال، نتيجة المادية والأنانيّة، حتى قرأت فيما قرأت منذ سنوات أنّ عائلات فى بريطانيا تبيع أطفالها، الأبوان يتفقان على بيع الطفل، وهو جنين فى بطن أمّه، أو بعد ولادته بشهر أو أشهر!! من أجل ماذا؟ من أجل جهاز تلفزيون، أو غسّالة، أو سيارة، أو شيىء من الكماليات والمرفّهات!!

أى أنهّم لم يبيعوا أولادهم من أجل شيىء ضرورى، بل من أجل شيىء كمالى! فما أغلى المبيع وما أرخص العوض!

إنهّم يريدون أن يعيشوا فى حياة مرفّهة، ولو باعوا فى سبيل ذلك أولادهم!

هذه هى الحضارة المعاصرة. وذلك هو الإسلام الذى اعتبر الأولاد نعمة، فيجب أن نستشعر هذه النّعمة، ونستشعر هذه الهبة، ونستشعر هذه الأمانة، التى استودعنا الله إياها. ونحافظ على هذه الثروة البشرية التى لا تقدر بكنوز الأرض.

هذا ما ينبغى أن نعرفه ونحن نتحدث عن الطفولة، وعن يوم الطفولة العالمى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يفقهنا فى ديننا، إنّه سميع قريب.

أقول قولى هذا - أيها الأخوة - وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١١) حال شبابنا اليوم

الخطبة الأولى

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تحدثنا فى خطبة ماضية عن الطفولة، وأهمية دور الطفولة، وواجبنا نحو الأطفال، ورعايتهم، سواء كانوا أطفالنا، أم لم يكونوا أطفالنا كاليتامى واللقطاء والمشرّدين.

واليوم نتحدث عن مرحلة أخرى من مراحل الحياة الإنسانية تأتى بعد الطفولة، وهى مرحلة الشباب.

هذه المرحلة من أخطر المراحل وأهمّها، بل هى مرحلة الحيّوية والإنتاج، المرحلة الدافقة بالحماس، المتميزه بالعزم، الحافلة بالنشاط. إنها مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم حين قال: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾ [الروم: ٥٤]. القوّة التى بعد الضعف الأوّل وقبل الضعف الثانى هى قوّه الشباب.

ومن هنا كانت أهمية هذه المرحلة، وأهمية توجيهها والعناية بها حتى لا تضل الطريق، وحتى لا تتبدد هذه الثروة، التى هى أغلى الثروات وأعزّها.

ثروة الأمم ليست فى المذخور فى باطن الأرض، ولا فى المنشور على ظاهرها فقط. ليست ثروتها فى معادنها، وليست ثروتها فى ذهبها وفضّتها، وليست ثروتها فيما تملكه من أرصدة فى البنوك.

ليست هذه هى الثروة فقط، كما يتصور الكثيرون

الثروة الحقيقية هى: الإنسان.

الإنسان هو أعظم ثروة، والشباب هم العنصر الأهم لهذه الثروة الإنسانيّة.

ولهذا إذا أحببت أن تعرف مستقبل أمّة، فاعرف ما موقع شبابها منها؟ ما الذى يشغل شبابها؟ ما الذى يهمّهم؟ ما مثلهم العليا؟ ما أهدافهم فى الحياة؟ ماذا يصنعون؟ وفيم يفكرون؟ وبأى شىء يحلمون؟ وعلام تدور أمورهم وجلساتهم وندواتهم؟

وما أحوجنا نحن العرب والمسلمين إلى أن نعرف دور شبابنا، وأن نعرف أهميّة هذه المرحلة التى يسأل الله الناس عنها خاصّة فى يوم القيامة، حينما تُنصب الموازين، وتنشر الدواوين، ويقوم ربّ العالمين بالحساب، هناك أسئلة رئيسيّة أربعة، من هذه الأسئلة سؤالان عن حياة الإنسان وعمره، عن عمره عامّة وعن شبابه خاصّة: «ماتزال قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» (١).

يسأل عن هذه المرحلة الخاصّة: «عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه» هذه السنوات الحيّة.. سنوات القوة الفياضة، سنوات العزم.. سنوات الحماس المتوقّد، فليحضّر كل امرىء للسؤال جوابا.

هناك من قضى شبابه منذ نشأته فى طاعة الله، وفّقه الله فعاش فى بيئة صالحة، فلم تعرف المعصية طريقها إليه، ولم يتورّط فى الكبائر، ولم يفرّط فى فريضة، فنشأ فى طاعة الله، فكان من السبعة الذين يظلّهم الله فى ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه: «.. وشاب نشأ فى عبادة الله..» (٢).

ولكن ليس معنى هذا إغلاق الباب على من تورّط فى المعاصى، فى فترة من

---

(١) رواه البيهقى وغيره من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه. ورواه الترمذى – بلفظ آخر – عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه وقال: حديث حسن صحيح (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ١/ ١٣١ برقم ٨٥).

(٢) قطعة من الحديث الذى رواه مالك والترمذى عن أبى هريرة وأبى سعيد، ورواه أحمد والبخارى ومسلم والنسّائى عن أبى هريرة، ورواه مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما (فيض القدير للمناوى: ٤/ ٨٨ برقم ٤٦٤٥).

OBEIKAN.COM

شبابه، فانزلق وغوى» وزلت به القدم. فباب التوبة مفتوح، ومن أحبّ الناس إلى الله تعالى: الشّاب التائب.

ليس غريبا أن يذنب الإنسان ويعصى الله، إنّما الغريب أن يستمرئ طريق المعصية والذنوب، فلا يرجع إلى ربه قارعًا بابه، تائبا نادمًا مستغفرا، قائلا ما قال أبوه آدم وأمّه حواء: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٣].

من لم ينشأ فى طاعة الله.. من لم يكن من هذا الصنف، فليكن من الصنف الآخر: التائبين ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

الشباب مرحلة هامّة خصبة من مراحل العمر، ولهذا يجب أن نُعنى بها، وهى مسئوليّة الجميع:

مسئولية الشاب نفسه ما دام بالغاً عاقلاً رشيداً مكلّفا، فقد قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾ [المدثر: ٣٨].

وهى مسئولية الأسرة (أبيه وأمّه). مسئوليتهما قبل أن يشب، ومسئوليتهما بعد أن شبّ عن الطوق. فلابدّ من الرعاية والتوجيه: «كلّكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيّته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيّتها..» [1].

لا ينبغى أن يكون كلّ همّ الأب أن يوفّر لأبنائه الطعام و الشراب، ممّا لذّ وطاب، وأن يوفّر لهم مما يلبس أحسن الثياب، وأن يوفر لابنه سيارة فارهة يركبها، وأن يملأ مخبأه أو جيبه بالنقود ينفق منها على مايريد.

لاينبغى أن يكون أكبر همه أن يهيّء له هذه الأسباب، ولكنه يدع حبله على غاربه، لا يعرف عنه شيئا لا يسأله: أين يذهب إذا خرج وفيم ينفق هذه الأموال؟ وأين يجلس؟ ومن أصدقاؤه؟ وهل صلّى أم لم يصلّ؟ هل أدّى واجبه المدرسى أو لم يؤدّه؟ هل كذا.. هل كذا..؟

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر، وسيأتى فى ص (١٦٠).

ينبغى على الأب المسئول عن الأسرة أن يحاسب أولاده وأن يراقبهم، إنّ الله تعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[التحريم: ٦]، احم نفسك من النار، واحم أهلك من النّار.

أنت مسئول عن أبنائك وبناتك، لا يكفى أن توفر لهم مطالبهم المادية، ولا تهتم بواجباتهم الدينيّة، لا، لايكفى هذا.

أيسرّك أن يتعلم ابنك ويحصل على أعلى الشهادات، ويتسلّم أرقى المناصب فى الدولة، ثمّ يكون مصيره إلى جهنّم وبئس القرار؟!

أترضى أن يكون ولدك وفلذه كبدك فى النار؟

إن كنت لا تحب ذلك، فقه النار: « . . قوا أنفسكم وأهليكم نارا . . ».

توفير المطالب المادية ليس هو وحده المطلوب ، بل قد يكون فى هذا الخطر. قد يكون فى إعطاء الأولاد ما يشتهون من نفقات وفلوس- وهم لا يحسنون التصرّف فيها – الخطر كلّ الخطر، والشرّ كلّ الشرّ.

يقول الشاعر (أبو العتاهية) فى أرجوزته:

إن الشباب والفراغ والجدّة مفسدة للمرء أىُّ مفسدة

الجدة: أى وجدان المال . . المقدرة المادية – أن يجد ما يريد ويحصل على ما يشتهى . . وتكون عنده الوسيلة والمال اللازم.

والفراغ: فراغ الوقت، وفراغ النفس من هموم المعيشة.

ولذلك كان من المهم والمهم جداً: أن تملأ فراغ الشباب، ألاّ تدع أوقاتهم فارغة، ولا نفوسهم فارغة، أن تعمرها بالخير، أن تشغلهم بأنشطة شتى رياضية وثقافية وترويحية، ودينية، ونربطهم ما أمكننا بأهداف كبيرة يعيشون لها ويعيشون بها.

للأسف نجد معظم شبابنا يعيشون فى فراغ كبير، لا يجد من أهله من يملأ

OBEIKAN.COM

فراغه، ولا يجد من مجتمعه ما يملأ فراغه، فراغ فى الوقت وفراغ فى النفس أكبر وأكبر.

نفسه فارغة من المثل العليا، من الأهداف العظمى، التى كان يعيش لها أمثال: على بن أبى طالب، وأسامه بن زيد، ومحمد بن القاسم، وغيرهم من شباب الإسلام.

شبابنا الأوّلون – الذين فتحوا البلاد، وحكموا العباد، ونشروا فيها العلم والإيمان والعدل والإحسان، والذين حفظوا القرآن ونقلوه إلينا، والذين حفظوا السنة ونقلوها إلينا، والذين انطلقوا إلى أرض الله (المصحف فى يد والسيف فى يد) لا يبغون إلاّ رضاء الله ونشر الإسلام وإعلاء كلمة الله – كانت عندهم مثلٌ عليا، كانت لهم أهداف كبيرة، تعيش فيهم ويعيشون فيها، لم يكن همهّم الشهوات، ولا همّهم المرأة، ولا الكاس ولا الطاس ولاغير ذلك.

لم يكن عندهم فراغ، لا فى أنفسهم ولا فى حياتهم. كانوا يعيشون لرسالة جليلة، فهل استطعنا فى عصرنا هذا أن نُعيّش شبابنا فى مثل هذه الرسالة، ولمثل هذه الأهداف؟؟ للأسف لم نستطع.

الشباب يشعرون بالفراغ، وخصوصا فى أوقات العطل، وحتى فى غير أوقات العطل.

هذا الشاب تجده فى أيّام الدراسة يركب سيّاراته الفارهة، ويمشى فى الشوارع متسكّعاً، أو يجلس فى بعض الطرقات يلتهم الغاديات والرائحات، أو (يُحفّص)[1] – كما يقولون – بسيارته حول المدارس وحول الأماكن العامة.

ما هذا الفراغ؟ ما هذا الضياع؟ ما هذه التفاهة؟ أيكون هذا فى أمّة مهزومة؟ أمّة مقهورة غلبها أعداؤها، حتى اليهود أذلّ الناس وأحرص الناس على حياة أذاقونا الويل، ونكسّوا رؤوسنا.

---

(١) يحدث صوتا مزعجا بعجلات السيارة وهى من الكلمات الخليجية (الدارجة).

أمّة مهزومة من واجبها أن تحزن على نفسها، ولوجاز لنا أن نلبس السواد، ونعلن الحداد لفعلناه.

ولكن شبابنا يتعلق بهذا الهراء الفارغ.. بهذا الضياع.. بهذه التوافه.

فى ندوات عُقدت فى اكثر من بلد كانت الشكوى المرّة والإحصاءات والأرقام المذهلة عن الشباب الذى يتناول المسكرات، ويتناول المخدّرات، ويتعاطى السموم. دع الذين يشربون السجائر والبلاوى الأخرى.

إحصاءات وأرقام مذهلة عن شباب هذه الأمّة، وبخاصّة الشباب هنا فى منطقة الخليج.

ومنطقة الخليج عليها تركيز شديد، أعداء الإسلام وخصوم هذه الأمّة يركّزون أعينهم على هذه المنطقة، يعلمون أنها منطقة غنيّة، فلابدّ أن تدمّر ثروتها، وإنّما تدمّر ثروتها بتدمير أهلها. وأوّل ما يبدأون تدميره: الشباب. ولهم فى ذلك وسائل وأساليب.

هناك سماسرة للشباب، يسوقونهم للفساد والإفساد، فى كل عاصمة من العواصم وفى كل مدينة من المدن، فى بلاد العرب وفى بلاد الغرب وفى بلاد الشرق الأقصى، حيث يذهب الشباب إلى هناك فى سياحات ورحلات، فيتلّقفهم هؤلاء السماسرة من عند سلّم الطائرة، ويجرونهم إلى الفواحش جرا، ويفسدونهم يدمّرون صحتهم، يدمّرون أخلاقهم، ويسحبون أموالهم، يفسدونهم على أهليهم وعلى أوطانهم.

مخطّط جهنّمى، ونحن عن ذلك غافلون.

بعض الشباب يذهب غافلاً، فإذا ذهب إلى هذه البلاد تعلّم من الفساد الكثير الكثير، وانحرف عن الطريق، وهيهات أن يرجع إلى ما كان عليه؛ إلا من رحم ربك.

الفساد فى كلّ مكان، والتركيز على هذه المنطقة، فماذا صنعنا نحن؟ ومن المسئول عن ضياع هذا الشباب؟

الشباب الذى أصبح كلّ همّه أن يسمع الأغانى، ويقلّد الممثلين الأجانب، والمغنين الأفرنج، ويلبس فى عنقه سلسلة أو قلادة من الذهب أو فى يده خاتماً من الذهب لا يفرق بين حلال وحرام، ولا يعرف شيئاً عن واجباته، هذا الشباب مصيبة كبيرة على نفسه وعلى أهله وعلى وطنه وأمته.

هؤلاء الشباب لأىّ شىء يصلحون؟

أيصلح هذا الشباب لما صلح له أسامة بن زيد الذى قاد الجيش الإسلامى وفيه كبار الصحابة، وهو ابن الثامنة عشرة من عمره.

أيصلح هذا الشباب لما صلح له محمد بن القاسم بن محمد الذى فتح بلاد الهند عن طريق السند؟! انطلق من الجزيرة العربية إلى بلاد لا يعرفها، يقود الجيش المسلمة لتنشر الإسلام، وتبليغ الأمم دعوة الإسلام.

لولا طموح هذا الشاب وإقباله ما كانت باكستان وبنغلادش ومسلمو الهند.

هذه البلاد مدينةٌ لمحمد بن القاسم بن محمد. ومن ذهب إلى (كراتشى) وركب القطار متجهاً إلى داخل باكستان، وجد هناك محطة مكتوبا عليها: محمد بن القاسم.

كان عُمُرُ محمد بن القاسم حين قاد هذا الجيش: سبع عشرة سنة!! وقال فيه الشاعر:

إن السماحة والمروءة والنّدى ... لمحمّد بن القاسم بن محمد

قاد الجيوش لسبع عشرة حجّة ... ياقرب ذلك سُؤدداً من مولد!

أيصلح شبابنا اليوم لما صلح له محمد الفاتح، الذى فتح القسطنطينيّة وقضى على الدولة الرومانيّة البيزنطيّة، وانتهت من التاريخ سنة (١٤٥٣م)، وكان فى الثالثة والعشرين من عمره؟!

وكان قد قرأ الحديث: «لتفتحنّ القسطنطينيّة، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيشُ ذلك الجيش»[1]، فتعلّق قلبه أن يناله نصيب من هذا الحديث الشريف، وحقّق الله له ما أراد، وكان نعم القائد ونعم الحاكم.

شباب كانت لهم آمال كبار.

فماذا يصنع شبابنا؟ لأىّ شىء يصلح شبابنا اليوم ممّا صلح له شبابنا الأقدمون؟ هل يفكرون فيما كان يفكر فيه هؤلاء؟

هؤلاء كانوا يصبحون ويمسون، ويبيتون ويضحون، من أجل الإسلام. كل تفكيرهم فى الإسلام، لنشر الإسلام، لإعلاء راية القرآن.

هذا هو هدف شبابنا الأوّل.

أمّا شبابنا اليوم فضائع.

من المسئول عن ضياعه؟ هل الأسرة هى المسئولة؟ هل الآباء؟ هل الأمهات؟ هل هؤلاء المشغولون عن أبنائهم وبناتهم؟.

هل المسئول هو المجتمع: التوجيه.. الإعلام.. الثقافة.. الصحافة.. الإذاعة.. التليفزيون.. المسارح.. السينمات..؟

من المسئول؟

هل المسئول مجالس رعاية الشباب المكوّنة فى كلّ البلاد، وكلّ عملها الرياضة والكرة، وتشجيع الناس على أن يكونوا متفرّجين ومنقسمين، بعضهم مع هذا النادى، وبعضهم مع ذلك النادى؟!

من المسئول؟ العلماء والخطباء الذين لايهتمون بهذه النواحى كثيراً، ولا يوجهون الناس التوجيه الحسن؟

من المسئول؟ من المسئول؟ .

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه عن بشر الغنوى (وقيل الخثعمى) وأقره عليه الذهبى (فيض القدير للمناوى: ٥ / ٢٦٢ برقم ٧٢٢٧).

OBEIKAN.COM

الكلّ مسئول. يجب أن نعترف بهذه الحقيقة.

كلّنا مسئولون، بداية من الآباء والأمّهات، إلى أعلى المسئوليات، كما قال النبى ﷺ: «كلكم راع ومسئول عن رعيّته، الإمام راع ومسئول عن رعيّته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيّته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيّتها، والخادم راع فى مال سيّده ومسئول عن رعيته، وكلّكم راع ومسئول عن رعيّته»(١)، كلّنا يجب أن يفكّر.

الشباب يفتقد حسن التوجيه، وأين يجد التوجيه وأمامه أجهزة الإعلام والتوجيه التى تصنع له نماذج معيّنة وتوحى له بإيحاءات معينّة؟

الشباب بحاجة إلى القدوة، فهل يجد هذه القدوة الصالحة فى البيت؟ هل يجدها فى المدرسة؟ هل يجدها فى المجتمع؟

للأسف القدوة الصالحة قلّما توجد الآن.

لم يعد حتى الأب نفسه قدوة صالحة للأولاد، لم يعد هناك المدرّس الذى يجد فيه التلاميذ نعم الراعى الموجّه، لم يعد هناك هذا الصنف إلاّ من رحم ربك وقليل ماهم.

هناك فى المدارس برامج حسنة لتدريس العلوم الشرعيّة، ونحو ذلك، ولكن التربية ليست مجرّد برامج، وليست مجرّد كتاب، وليست مجرّد مواد تحفظ، وتؤدى فى امتحان، التربية شىء أعمق وأكبر من هذا، إنّها بحاجة إلى قدوة.. إلى من ينقلها بحرارتها إلى التلاميذ.. إلى من ينفعل بها.. إلى من يكون صورة حيّة لها.

نحن فى حاجة إلى البيئة المساعدة.. البيئة الصالحة التى تساعد الشباب على أن ينمو نموّاً حسنا.

---

(١) رواه البخارى، ومسلم، عن ابن عمر رضى الله عنهما (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/٥٥٣ برقم ١١٠٨).

OBEIKAN.COM

لابدّ من العمل على تكوين هذه البيئة الصالحة فى كلّ مكان، لكى يعيش الشباب عيشة إسلاميّة.

نحن للأسف ننقل عن الغرب، ونريد أن نعيش كما يعيش الغرب، فهل مثل الغرب كمثلنا؟ هل عقيدته كعقيدتنا؟ هل قيمه كقيمنا؟ هل تقاليده كتقاليدنا؟

لا، ثم لا، شتّان بين مشرّق ومغرّب، فلذلك لا يجوز أن ننقل عن القوم، يجب أن نعرف: من نحن؟ وعلى أى أرض نقف؟

ينبغى أن نفهم أنّ رعاية الشباب ليست رعاية جسمه فقط، وإنّما رعاية جسمه وعقله وقلبه ووجدانه. يجب أن تشمل رعاية الشباب كلّ هذه النّواحى.

هناك خطأ أساسىّ.. خطأ جذرى، فى رعايات الشباب فى العالم الإسلامى كلّه، حيث ظنّ المسئولون أنّهم مسئولون عن الناحية الرياضيّة فقط، وهذا خطأ. الرياضة جزء وليست كلاًّ، وليست الجزء المهم ولا الأكبر.

لا مانع للناس أن يلعبون الكرة، ولكن الممنوع أن تصبح الكرة وثناً يعبده الناس، وينقسمون حوله، ويتحزّبون أحزابا.

ماقيمة هذا؟

نحن نريد الشاب القوىّ فى جسمه، القوىّ فى روحه، القوىّ فى تفكيره، القوىّ فى إيمانه، القوى فى عزمه، القوىّ فى سلوكه.

ولهذا يجب أن تتعاون الأجهزة كلّها على حسن رعايته وتوجيهه، حتى يصبح مثلاً حياً، ويصبح مسلماً حقيقياً، جديراً أن ينتسب إلى دينه وأن ينتسب إلى أمّته، هذا هو الشاب النافع، وهذه هى الثروة التى نريدها.

إننا نريد الشاب الذى يطيع أمر ربه، ولو قدم فى سبيل ذلك دمه ورقبته، كما تمثل ذلك فى إسماعيل بن إبراهيم حين قال له أبوه بعد أن بلغ معه السعى،

وأصبح يرجى منه ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ فماذا قال الولد لأبيه، والأمر يتعلق بعنقه وحياته؟ قال: ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصافات: ١٠٢].

نريد الشاب الذى يستعلى على الشهوات، ويتعفف عن الحرام، ويرفض المعصية، بدافع ذاتى من ضميره، وخوفه من الله تعالى، كما تمثل ذلك فى يوسف ابن يعقوب الذى سعت إليه المعصية، ولم يسع إليها، ولكنه أبى واستعصم وقال لسيدته ومالكة أمره، وقد راودته عن نفسه، بعد أن غلقت الأبواب، وهيأت الأسباب، وقالت هيت لك، هنالك ﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾[يوسف: ٢٣].

نريد الشاب النقى الحنون البارّ بأسرته الثوى فى أخذه بتعاليم كتابه، كما تمثل ذلك فى يحيى بن زكريا، الذى قال الله تعالى فيه﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا *وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا** ﴾[مريم: ١٢ – ١٤].

روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيا إلا شابا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية[١]: ﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** ﴾[الأنبياء: ٦٠].

إن الحديث عن الشباب يطول، والحديث عن مشكلات الشباب يطول، وإنّما هى لمحات أحببت أن أذكرها، وأن أذكّر بها كل الناس، ابتداء من الآباء والأمّهات، وأن أذكّر بها شباب هذه الأمّة أنفسهم، الذين يرّجَوْن لها، يُرجون لقضاياها، يُرجون لهذا الدين العظيم، الذى أصبح غريباً فى أوطانه.

شباب هذه الأمّة مرجوّون لنصرة دينهم.

وجدت اليهودية من ينصرها، ووجدت النصرانيّة من ينصرها، ووجدت

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره جـ٣ / ١٨٢ طبعة عيسى الحلبى.

الوثنيّة من ينصرها، ووجدت الشيوعيّة من ينصرها، وكلّ مبدأ باطل وجد من ينصره إلاّ الإسلام، فقد غاب عنه أهله.

إنّهم فى حالة غيبة وعى.

ولذلك أنا أنادى الشباب لعلهم يسمعون، وإذا سمعوا لعلهم يستجيبون.

هناك - والحمد لله - شباب صالحون، هناك مئات وآلاف من الشباب هداهم الله، وأصبحوا يمثّلون الصحوة الإسلاميّة المعاصرة، هى صحوة شباب فى جوهرها، ولكن كم يمثّل هؤلاء المهتدون بالنّسبة للآخرين؟ إنّهم يمثلّون قلّة بالنسبة إلى كثرة كاثرة.

حرام علينا أن نهمل أمر الشباب، حرام علينا أن نضيّعهم، حرام علينا ألاّ نفكّر فى قضاياهم.

فيا أيّها الإخوة: يا أيها الشباب أوّلاً، ويا أيها الآباء والأمّهات، ويا أيّا المسؤولون عن أجهزة التوجيه، ويا أيها المسؤولون عن رعاية الشباب، ويا أيها المسلمون فى كلّ مكان، اتقوا الله فى هذه الثروة البشرية، اتقوا الله فى هذه الثروة العظيمة التى لا تُقدّر بقدر ولا يُقوّم بمال، وهى مستقبل الأمّة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا فى ديننا، وأن يعوّضنا خيراً، وأن يجعل شبابنا من خيرة الشباب، وأن يجعلهم كأسلافهم إيماناً وعلماً وعملاً وجهاداً فى سبيله، إنّه سميع قريب، وصلّى الله على محمد، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

OBEIKAN.COM

(١٢) حال فتياتنا اليوم

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

فى الجمعة الماضية تحدثنا عن مرحلة الشباب.. مرحلة القوّة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة.. مرحلة الحيويّة والإنتاج، التى يُسأل الأنسان عنها خاصّة يوم القيامة: «ما تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع – من هذه الأربع – : وعن شبابه فيم أبلاه»(١).

كان هذا الحديث عن مرحلة الشباب للأبناء وللبنات، للذكور وللإناث، فالمرحلة نعمة للجميع.

ولكن بعض الإخوة والأخوات حسبوا الكلام مقصوراً على الشباب الذكور وحدهم، وقالوا: إن الفتيات والشابات يجب أن يكون لهنّ نصيب خاص فى الحديث، وهذا حق.

برغم أنّى وجهت الكلام عن الشباب للجميع، ولكن من حقنا أن نخصّ هذا الجنس اللطيف – كما يسمّونه – بحديث خاص، فالمرأة نصف المجتمع، وبناتنا كأبنائنا، لهنّ حقوق علينا.

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

سواء كان هؤلاء الأولاد ذكوراً أو إناثا، فلا ينبغى أن نهمل الحديث عن الفتيات.. عن البنات.. عن الشّابّات، فإنّه لا يصلح المجتمع إلاّ إذا صلحت فيه المرأة، لا يمكن أن يصلح الحال إلاّ بصلاح النساء. المرأة إذا صلحت لم يكن صلاحها لنفسها فقط، بل امتدّ صلاحها إلى زوجها إن كانت متزوّجة، وإلى أولادها إن كانت أمّا.

ولهذا كان لابد لنا من الحديث عن شابّات اليوم.. عن فتيات هذا العصر، إنّ علينا لهنّ لحقاً أكيدا، آباء كنّا أو مربيّن أو دعاة.

فتاة اليوم هى أمّ الغد، هى صانعة المستقبل، لأنّها صانعة الأجيال.

الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيبّ الأعراق

الأم الصالحة هى التى تنجب أبناءً صالحين، هى التى تنجب ثروة الأمّة البشريّة.

---

(١) رواه البيهقى وغيره من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه، ورواه الترمذى عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه وقال: حديث حسن صحيح، مع اختلاف قليل فى الألفاظ (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ١٣١ برقم ٨٥).

ولهذا إذا أهملنا توجيه الفتيات، وتركناهنّ للتوجيه المسموم، الذى يسمّم الأفكار، ويسمّم العواطف، ويفسد العقول والتقاليد والقيم، فإنّها لن تنشأ إلاّ فاسدة مفسدة.

إنّ الإسلام قد عُنى بالمرأة، وكرّمها بنتاً، وكرّمها زوجة، وكرّمها أمّا، وكرّمها قبل ذلك إنساناً. وجعل لها من التكاليف والمسؤوليّة مثل ما للرجل، فالله تعالى يقول: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** ﴾[آل عمران: ١٩٥].

لا يضيع الله عمل عامل منّا، من ذكر أو أنثى، لأن الرجل من المرأة والمرأة من الرجل، ليسا عدوّين، ليس الرجل عدواً للمرأة ولا المرأة خصماً للرجل، بل كلّ منهما مكمّل للآخر، وهو جزء منه: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾[الروم: ٢١]، فالمرأة من نفس الرجل كما أنّ الرجل منها.

من هنا كانت أهمّيّة التوجيه الإسلامى للمرأة أن أن تُنشّأ نشأة صالحة منذ نعومة أظفارها، أن تُربّى التربية الإسلاميّة الحقّة، أن تُعوّد الخير، أن تُنشّأ على الطاعة، أن يُغرس فى قلبها حُبُّ الفضيلة والنّفور من الرذيلة، أن تُعلّم الصلاة وهى بنت سبع وأن تُضرب عليها لعشر، أن تُعرّف الحلال من الحرام، والخطأ من الصواب، والحقّ من الباطل.

لابدّ أن يبذل الأب وتبذل الأمّ جزءاً من وقتهما مع بناتهما، حتى ينشآن النشأة الصالحة، هذا واجب الأسرة.

وواجب المدرسة وواجب الجامعة وواجب المؤسّسات التعليميّة: أن تعلّم الفتاة ما يجب عليها نحو ربها، ونحو نفسها، ونحو أسرتها، ونحو مجتمعها، ونحو أمّتها الكبرى (أمة الإسلام).

وعلى المؤسّسات التوجيهيّة والإعلاميّة أن تقوم بدورها فى هذه الناحية:

الصحافة.. الجريدة.. المجلّة .. الإذاعة.. التليفزيون.. المسرح.. السينما، هذه الأدوات الجديدة التى أصبحت لها خطورتها.

فهل قامت هذه المؤسّسات كلّها بواجبها نحو توجيه الفتاة؟

هل قامت الأسرة بواجبها؟

هل قامت المدرسة بواجبها؟

هل قامت الجامعة بواجبها؟

هل قامت المؤسّسات الإعلاميّة بواجبها؟

إنّ هناك من قام ببعض الواجب، وهناك من قام بعكس الواجب لم يكتف بالموقف السلبى، بل قام بإفساد التوجيه.

أصبحت فتياتنا تتلقىّ من التوجيهات ما يفسد عليها فكرها، ويفسد عليها دينها، ويفسد عليها سلوكها.

انظر: ماذا يجرى فى الدنيا؟ ماذا تقدم لنا الأجهزة المختلفة؟ ماذا تقدمّ لنا المجلاّت والصحف؟ وأنا لا أتحدث عن (قطر) فقط، أنا أتحدث عن الوطن العربى، والوطن الإسلامى، أنا أتحدث عن المجتمع الإسلامى كلّه.

هذه الصحف المصوّرة التى تنشر الصور العارية أو شبه العارية، التى اتخذت فيها المرأة أداة للإثارة وللإعلان، تجد فيها امرأة تشرب السجائر، وامرأة تقدم شيئاً معيّناً ربّما كان من خصائص الرجل، وامرأة نصف عارية. كما يركز الإعلان على جنس المرأة، والمرأة الجميلة خاصة؟

انظروا الموضوعات التى تُكتب: ماذا فيها؟ فيها الغثاثة، وفيها الفساد.

ما هذه الأشياء التى تعرض على الشاشة الكبيرة والشاشة الصغيرة: الأفلام.. المسلسلات.. القصص.. الأدب المكشوف الذى أصبح يغزونا من يمين وشمال من هنا وهناك؟

ما يُقدّم فى المسارح وما يُقدّم فى الإذاعات وما يُقدّم فى التليفزيون، ينتجه

OBEIKAN.COM

أولئك الفارغون من القيم ومن الأخلاق ومن الدين. لأنّ المؤسف أن السينما نشأت فى البلاد العربية على يد غير مسلمين فى أوّل الأمر، ثم على يد قوم فرغت رؤوسهم من فهم الدين، وفرغت قلوبهم من القيم والأخلاق، وفرغت حياتهم من السلوك الطيّب. هؤلاء هم الذين أسّسوا المفاهيم الأولى لما يسمّى الفن، ثمّ نشروا هذا الفساد وصدّروه هنا وهناك، وأصبحنا نرى فتياتنا يعشن لهذا الأمر.

ما الذى يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

هل يشغلها ما كان يشغل أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها يوم كانت تعّرض نفسها للخطر، وهى تذهب لرسول الله ﷺ فى غار ثور وهو مختبىء عن الكفار هو وصاحبه، تخرج وتصعد إلى هذا الجبل الذى يعيى الشاب القوى الصعود إليه، وتعرّض نفسها لهذه المشقّة لتقوم بمهمّتها فى نصرة دين الله؟

هل يشغل الفتاة المسلمة ما كان يشغل سميّة امرأة ياسر التى لاقت حتفها على يد عدوّ الله (أبى جهل) وماتت تحت العذاب، وكانت أول شهيد فى الإسلام؟

هل يشغل الفتاة المسلمة ما كان يشغل فتيات الإسلام اللاّتى نذرن أنفسهن لله ولدينه، وقمن بواجبهنّ فى نشر هذا الدين؟

ما الذى يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

هل يشغلها ما كان يشغل الصالحات من نساء السلف الصالح من الحرص على تحرّى الحلال واجتناب الحرام، حتى أنّ المرأة كانت تقول لزوجها وهو خارج: يافلان إيّاك وكسب الحرام، فإنّا نصبر على الجوع والطوى ولكنّا لا نصبر على حرّ النّار وغضب الجبار؟!

هل يشغل الفتاة المسلمة اليوم ما كان يشغل نساء السلف الصالح اللاتى

OBEIKAN.COM

كان منهنّ من تحفظ صحيح البخارى أو صحيح مسلم، أو ترويه بالسند، وتجلس فى حلقات العلم، ويقول علماؤنا: حدثتنى الشيخة المسلمة الصالحة فلانة بنت فلان؟!

ما الذى يشغل فتياتنا المسلمات اليوم؟

الفتاة المسلمة يشغلها اليوم: انّها تقرأ فى تلك المجلات المصوّرة التى تعرفون أسماءها وعناوينها، والتى تجد رواجاً وتنتشر هنا وهناك، وتُباع بالآلاف وعشرات الآلاف، ويقرأها فتياتنا فى كل بلاد العرب والإسلام.

هذه المجلاّت الفارغة من القيم والمعانى، هل فيها توجيه إسلامى؟ هل تلتزم بأدب الإسلام وقيمه؟ لا والله.

فتياتنا مشغولات بسماع الأغانى الرخيصة. ومهما ترخّصنا فى سماع الأغانى – وأنا من الميسّرين فى هذه الناحية – فإنّ معظم الأغانى التى تُسمع فى هذا العصر تدور حول محور واحد هو: الحبّ والغرام والعشق والهجر والوصال. كأنّه ليس فى الدنيا شىء إلاّ الحب، وكأنّه ليس هناك حبّ إلاّ حبّ المرأة، وكأنّه ليس هناك حبّ إلاّ حب جسد المرأة، وحبّ المرأة الأجنبية، لا حبّ المرأة الزوجة ولا حبّ المرأة الأم!!

هكذا يلحّون على هذه الغريزة العاتية.. غريزة الجنس الى لا تحتاج إلى إلحاح، إنّما يشعلون النار، يريدون أن يقرّبوا الفتى من الفتاة ويقولون: دعوهما يجرّبا، ودعوهما يكتشفا أنفسهما، اكسروا الحواجز بين الفتيان والفتيات، ما هذا الكبت؟

ما هذه العقد؟ حُلُّوا العقد، أزيلوا الكبت، واتركوا الجنسين يلتقيا كما يحلو لهما!

هذه مقولاتهم.

وفى الغرب فعلوا هذا وأزالوا الكبت، وكسروا الحواجز، وتركوا للفتى أن

يلتقى بالفتاة، وللفتاة أن تقابل الفتى، وأن يقبّل بعضهم بعضا فى الطرقات، وأن يفعلوا ما لا يُحمد ولا يقبل فى فى عُرفنا، فى الشوارع والحدائق، فهل حلّوا المشكلة؟ لا والله ما حلّت المشكلة، إنّها تزداد تعقيدا.

فى بلاد الحرية الجنسيّة أكثر ما يكون فيها الانتحار، لأنّ الفتاة الجميلة يريدها أكثر من واحد، يتهافت عليها العشرات، ويتقاتلون من أجلها، والفتاة الى لم تُرزق حظّاً من الجمال لا يُقبل عليها أحد، ولهذا ترمى بنفسها فى أتون الفاحشة، تبيع نفسها بأىّ طريق، تبحث عن أىّ مستنقع وتلقى بنفسها فيه.

لم تحلّ المشكلة إذن.

ولا زال عقلاؤهم ونقّادهم ومصلحوهم يشكون من هذا الفساد الخلقى، ويشكون من هذا التحلّل السلوكى.

إنّ الإسلام جعل هناك حدوداً فصلت بين الرجل والمرأة. صحيح أنّ منّا من تجاوز هذه الحدود ولم يقف عندها، وزاد على الدين ما ليس منه فحرّم ما أحلّ الله، ولم يُبح إلى اليوم للخاطب أن يرى مخطوبته! يخطب الفتى الفتاة فلا يراها ولا تراه، بل ربما عقد عقدها (وملك عليها) ومرّت شهور عليهما وهو لم يرها قط!! إنه لايراها إلاّ بعد أن يدخل بها وتزفّ إليه!!

أهذا شرع؟ أهذا فى كتاب أم سنّة؟!

فتاة ترى كل الناس، تذهب إلى المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتذهب إلى السوق، وتذهب إلى الأعراس، وتسافر إلى البلاد العربية، وتسافر إلى البلاد الأوروبية، وترى آلافاً من الرجال ويرونها، الشخص الوحيد الذى لاتراه ولا يراها هو خاطبها، بل هو زوجها الذى عقد عليها!!

أهذا من الدين فى شىء؟!

نحن نقع بين الإفراط والتفريط، بين الذين يحرّمون الحلال والذين يحلّلون الحرام، وما هكذا تعالج الأمور.

ما الذى يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟!

يشغلها رؤية الأفلام والمسلسلات التى تعرضها التليفزيونات، وتعرضها السينمات، وماذا فيها؟ إنّها تعرض جانباً معيّناً من الحياة، لشريحة خاصّة من الناس، وتعرضه وكأنّه هو واقع المجتمع كلّه، تريد أن يعمّ هذا الجانب المنحرف وأن يصبح قاعدة، مع أنّه هو الشذوذ بعينه.

تبقى الفتاة المسكينة معلّقة بهذه الأشياء وبهذه الأوهام، تظنّها حقائق، وماهى من الحقيقة فى شىء.

ما الذى يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

تشغلها (الموضات) العصريّة، بدع هذا العصر من الأزياء التى تتغيرّ من سنة إلى سنة، بل من فصل إلى فصل. هذه موضة الربيع، وهذه موضة الخريف، وهذه موضة الصيف! وهكذا لعب هؤلاء الذين يسمّونهم (مصمّمى الأزياء) – وجلّهم من اليهود أوتلاميذ اليهود – بعقول النساء فى العالم.

كيف ترضى الفتاة المسلمة أن تكون أمة لهؤلاء، تتبعهم فيما يصمّمون لها؟! إنّها تحكمها قيم وتحكمها شرائع ويحكمها دين، فيكف ترضى لنفسها أن يتلاعب بها هؤلاء؟!

لقد أصبحنا كما حذّر النبى ﷺ: «لتتبعنّ سَنَنَ من قبلكم [طرائقهم وتقاليدهم] شبراً شبرا، وذراعاً ذراعا، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ تبعتموهم..»[1] هكذا قال النبى ﷺ.

وجُحر الضبّ يضرب به المثل فى كراهية الرائحة وفى الإلتواء وفى الظلمة وفى الضيق، ومع هذا لو دخلوا جحر الضبّ، يصبح دخول جُحر الضبّ (موضة)! تخرج (موضة) اسمها (موضة جُحر الضب)! ويتبعها هؤلاء وأولئك، ويروّج لها المروّجون الذين يملكون الأقلام ويملكون الصحف ويملكون الأجهزة الإعلانية.

---

(١) متفق على صحته، من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه. وتتمته: «قلنا: يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن» (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٤/٣٩٢ برقم ٤١٩٦).

OBEIKAN.COM

ماذا نملك نحن؟ نملك المنبر – وفى بعض البلاد الإسلامية لا يملك أهل العلم المنبر، فحتى المنبر مُوجّهٌ من قبل أولئك الذين لا يخشون الله ولا يعرفونه – وماذا يعطى المنبر؟ ربع ساعة أو نصف ساعة فى الأسبوع؟! ماذا تغنى أمام هذا السيل العرم من التوجيهات التى تحمل التشويق والإثارة بالصوت والصورة والكلمة المزوقة، والموسيقى والحوار و(الدراما)؟ ماذا تملك كلمة عالم من العلماء أمام هذا السيل الضخم؟ ماذا تملك؟ وماذا تستطيع؟ وهل يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمه؟!

ماذا يصنع المسجد؟ وماذا تصنع المدرسة؟ ويا تُرى هل المعلمة التى تدرّس العلوم الشرعية والتربية الإسلامية ملتزمة بأدب الشرع أو لا؟ هل توجد القدوة التى تقتدى بها الفتاة فى المدرسة وفى البيت؟ هل الأمّ قدوة للفتاة؟ إن الأمّ من ذلك الصنف الذى يقف أمام المرآة مُدداً ومُدداً إذا أرادت أن تذهب إلى الخارج، وتكسل أن تقف بين يدى الله دقائق معدودات؟!

هل تجد الفتاة القدوة فى بيتها؟ هل تجد القدوة فى المدرسة؟ هل تجد القدوة فى الجامعة؟ هل تجد القدوة فى الشارع حينما تخرج إلى الشارع أو تذهب إلى الأماكن العامّة؟

للأسف فى بعض البلاد ترى الشوارع تغصّ بالكاسيات العاريات المميلات المائلات اللاّئى جعلهنّ النبى ﷺ من أهل النّار، وحرّم عليهنّ رائحة الجنّة، ورائحتها توجد من مسيرة كذا وكذا[1]. وورد فى بعض الأحاديث من مسيرة خمسمائة عام.

ما الذى يشغل فتاتنا المسلمة اليوم؟

---

(١) جاء ذلك فى الحديث الذى رواه أحمد ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ونصّه: «صنفان من أهل النّار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النّاس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهنّ كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنّة ولا يجدون ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (فيض القدير للمناوى: ٤ / ٢٠٨ برقم ٥٠٤٥).

OBEIKAN.COM

هذه هى الأشياء التى تشغلها: المجلاّت، والصوّر، والموضات، والأزياء، والأفلام، والمسلسلات، والأغانى تسمعها طول اليوم.

مهما قلنا فى الأعانى، فالأغانى لهو، واللهو له وقته. الترويح له وقته فلا ينبغى أن يسرف الإنسان فيه: (أعط الكلام من المزج بمقدار ما تعطى الطعام من الملح) كما قال علىّ رضى الله عنه.

وهكذا ينبغى أن يكون اللهو فى الحياة، كالملح فى الطعام، لا ينبغى أن يزيد، ولا أن يبالغ فيه. أمّا أن تصبح الحياة كلّها لهواً، أمّا أن تنتقل الفتاة من محطّة إلى محطّة، ومن موجة إلى موجة، ومن قناة إلى قناة، ليصبح اليوم كلّه أغانى، فأين الجدّ؟ أين حقّ الله؟ أين حقّ الحياة؟ أين حقّ الأسرة؟ أين حقّ المجتمع؟

إنّنا فى حاجة إلى أن نراجع أنفسنا، ويراجع المجتمع نفسه مع بناته وشاباّته، أمّهات الغد وصانعات الأجيال فى المستقبل.

يجب أن تراجع كلّ الأجهزة التوجيهيّة نفسها.

يجب أن تُربى الفتاة المسلمة تربية إسلامية صالحة، تربية تعرّفها حقها وواجبها، وتقف بها عند حدود الله، لاغلو ولا تفريط. لانريد أن نتزيّد فى ديننا فنحرّم ما أحلّ الله كما يفعل المتشدّدون، ولانريد أن نتساهل فى ديننا ونتهاون فيه، فنحلّ ما حرّم الله، لا، بل نقف عند حدود الله، كما قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾

[البقرة: ٢٢٩]

لا ينبغى للفتاة المسلمة أن تُسلم قيادها للتوجيه العلمانى اللادينى، الذى يديره أناس خبثاء، لايريدون لهذه الأمّة خيرا، ولا يريدون لشبابها وشاباّتها إلاّ الفساد وإلاّ الدمار.

لا ينبغى للفتاة المسلمة أن تجعل مثلها الأعلى: الفتاة الغربيّة، الفتاة الأوروبيّة والأمريكية، لا، بل ينبغى أن تجعل مثلها الأعلى: أمّهات المؤمنين: خديجة.. عائشة.. أمّ سلمة.. زينب بنت جحش.. بنات النبى: فاطمة الزهراء

وإخواتها. نساء الصحابة.. أسماء ذات النطاقين.. أمّ سليم.. أمّ عمارة نسيبة بنت كعب.

يجب أن تجعل هؤلاء نصب عينيها.

أما أن تجعل الممثّلات والمطربات من الشرق أو من الغرب مثلها الأعلى، فهذا هبوط بها. هؤلاء ليسوا منّا ولسنا منهم، لايمكن أن نصل إلى يوم نبيح فيه الحرام، ونستحلّه جهرة وعلانية، كما يفعلون.

فى هذا الصيف ذهبت بضعة أيّام إلى (لندن) فى مصلحة من مصالح المسلمين، وكان معى صديق هناك، قال لى: ذهبت إلى الحديقة المشهورة (هايد بارك)، وكانت معى ابنتى الصغيرة، فرأيت منظراً تقشعرّ منه الأبدان، من المناظر الجنسيّة القبيحة. سألتنى ابنتى الصغيرة.. الطفلة البريئة: ما هذا يا أبى؟ فقلت لها: هؤلاء حيوانات! فقالت لى: وماذا تفعل الحيوانات؟ فلم أستطع أن أجيب.. وتركت المكان. ثم ذهبت إلى مكان آخر، فرأيت منظراً أفظع من الأول، ولا حقتنى الطفلة بالأسئلة: ما هؤلاء؟ وماذا يفعلون؟ ولم أستطع أن أقول: هؤلاء حيوانات، وهى تريد أن تعرف ماذا تفعل الحيوانات أيضا؟ فلم أملك إلاّ أن أرجع إلى البيت!!

هذا هو المجتمع الغربى المتفسّخ، هذا المجتمع الغربى قد أصبح مثلاً سيّئاً فى الفساد والانحلال.

أصبحوا يشكون من الأمراض الخبيثة والأمراض الجنسيّة كالإيدز، والأمراض التى أصبحت تهدّدهم بالفناء.

أصبحوا يخافون، بعض فلاسفتهم قال: إن خطر الطاقة الجنسيّة يهدّدنا أكثر من خطر الطاقة الذرّيّة!

إنّهم يخافون أن يزيد هذا التحلّل حتى يأتى على المجتمع من قواعده، ونحن نريد أن ننقل عنهم ونقتبس منهم!

إنّ لهم دينهم ولنا ديننا، وأنّ لنا قيماً ولنا عقائد ولدينا تشريعات وأحكام، وعندنا حلال وحرام.

من منّا يرضى لابنته أو لأخته أو لزوجته أن تفعل ما يفعل هؤلاء؟ من منّا يرضى دينه بذلك؟ أو تقبل رجولته ذلك؟ ومن من فتياتنا يرضى دينها أو خلقها ذلك؟

ولهذا كان من الخطر كل الخطر أن يستمر سيل السياحة والاصطياف إلى البلاد الأوروبية، لشبابنا وشابّاتنا، فلا يتعلّمون ولا يتعلّمن إلاّ الفساد والانحراف، وبمجرّد أن يتعلموه هناك يأتون إلى هنا، يريدون أن يجرّبوه مرّة أخرى.

هذا الفساد الذى نراه هو فساد منقول إلى مجتمعنا.

أنتقل إلى المجتمعات الإسلاميّة من تلك المجتمعات المنحرفة التى لم تهتد بهدى الله؟! ونحن عندنا كتاب الله وسنة رسوله، عندنا تراثنا الخالد، عندنا سير الصالحين والصالحات، عندنا من هذا كلّه ما يغنينا عن الاستيراد، وعن تسوّل الأفكار والتقاليد من عند غيرنا.

عندنا صراطنا المستقيم، فكيف نتبع صراط المغضوب عليهم والضالين؟!

كيف نمشى وراء السُبل، التي على رأس كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، ونترك صراط الله الواحد، وطريق الله الذى له ما فى السنوات وما فى الأرض؟!

يا أيّها الإخوة المسلمون، يا أيّها الآباء، يا أيّها المربّون، يا أيّها الإعلاميّون، يا أيّها المعلّمون، يا أيّها الدعاة، يا أيّها المسؤولون، يا أيّها الناس جميعا:

احذروا من هذه التيارات الداخلية الغازية، التى تريد أن تقتلعنا من جذورنا، وأن تهدمنا من أساسنا، وأن لاتبقى فينا شيئاً أصيلاً ذا قيمة.

حافظوا على أنفسكم.. على أبنائكم.. على بناتكم، ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[التحريم: ٦]، ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾[طه: ١٣٢].

نسأل الله عزّ وجلّ أن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقى، إنّه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه وادعوه يستجب لكم.

OBEIKAN.COM